البـــاب الثانـــــــى

" الدراسة الميدانية "

البنـــــاء الاجتماعـــى

obeikandl.com

obeikandl.com

الفصل الأول

تعريف سريع بمجتمعات الدراسة

- مجتمع القصب .
- مجتمع الحائر .
- هجرة الغطغط

obeikandl.com

obeikandl.com

- مجتمع القصب :

تعتبر " القصب " قرية صغيرة إلى وقت قريب ، ويطلق عليها إداريا فى الوقت الحالى " مدينة " إلا أنها ما زالت تعتبر من القرى المتحضرة ، ومدينة القصب نشأت قرية صغيرة دعت الحالة الأمنية الى احتمائها بسور قديم يصل ارتفاعه إلى أربعة أمتار تقريبا ، وهو مبنى من الطين بطريق تسمى " العروق " وهى خلط الطين بالماء وتكوين طبقة من الأسفل وتترك فترة تصل الى يومين أو اكثر حتى تجف ثم توضع الطبقة الأخرى إلى أن ينتهى من البناء فيكون على شكل عروق مستطيلة قد يصل الى خمسة عشر عرقا ، وهذه الطريقة من البناء تجعل من هذا السور بناء قويا ويتحمل العوامل الطبيعية المختلفة فلا تؤثر فيه مياه الأمطار مثلا ، ويطلق على هذه الطريقة من البناء بريف مصر " الطوف " ، وللسور بوابات فى معظم الجهات ، وذلك لدواعى الأمن فهى تفتح فى النهار وتغلق فى الليل . ولا يوجد بالقرية شوارع بمعناها الصحيح ، ولكن يوجد حارات ضيقة لا تتسع لأكثر من مرور الناس والدواب ، وبالطبع كان لهذا التقارب بين البيوت دواعى أمن ايضا ، وذلك ليسهل حراسة القرية ، ويسهل أن تحاط بالسور ويسهل حماية أهل القرية لأنفسهم ، وبهذا نجد السور قد أحاط القرية مكونا مستطيلا طوله فى حدود خمسمائة متر من الشمال إلى الجنوب وحوالى ثلاثمائة متر من الشرق إلى الغرب تقريبا .

ولدواعى الأمن أيضا نجد " المرقب " وهو بناء مستدير يشبه " البرج " مبنى فوق مكان مرتفع يعلو عن سطح الأرض ، ويصعد به رجل حاد البصر يرقب كل المنطقة ويسمى هذا الرجل " رقيبه " أو " السبر " لأنه يسبر المكان بعينيه أو يرقب المكان ، ويصعد هذا الرجل فى أوقات متفاوتة ، بشرط أن تكون أخر مرة قبل الليل كى تطمئن القرية فى فترة الليل ، كما أنه يعرف الحملات التجارية المسالمة من غيرها من الحملات المغيرة والتى يقوم بالتبليغ عنها عند رؤيتها من بعيد .

كما أن نخيل القرية يحاط أيضا بسور . وهناك الأبراج التى تستخدم فى أوقات الحروب ، وفى المدافعة عن القرية فيحتمى بها الرجال فى أيام الخوف وهى الأيام التى يتوقعون فيها الإغارة عليهم .

سبب التسمية :

يذكر أن القصب قديما كانت تسمى " قصيباء " و " القصيبات " ، وذلك لتناثر مساكنها وقلتها فتظهر للناظر من بعيد وقد كونت هذه المساكن قصبات من الدور الدائرية فى بنائها والمتباعدة عن بعضها [1] .

(١) ناصر عبد العزيز الحميض : مدينة القصب أرض الملح ، مكتبة الرشد ، الرياض ، ط ١ ، ١٤٠٨ هـ ١٩٨٨ م ، ص ٢٦ .

الموقـــــــــع :

هى احدى مجتمعات منطقة الوشم فى إقليم نجد ، وتعتبر من المدن الصغيرة القليلة الكثافة ، وتقع شرق مدينة شقراء بحوالى ٣٥ كيلومتراً ، وهى فى موقع متوسط بين جبال طويق شرقا ، والنفود غربا ، وتشكل الجبال الشرقية والرمال الغربية حماية طبيعية ، وتحديدا تضاريسيا لها ، ولقد تحرك هذا الموقع كمركز لدائرة غير ثابتة المحيط إذ أن الموضع الأول يقع على بعد اثنين كيلومترين تقريبا من موضعها الحالى فى الاتجاه الجنوبى الغربى ، ولا تزال آثار الأسوار قائمة حتى الآن فى الرقيبية وفى موضعها فى العود [١] ، ويطـلق علـى الجدار " قصر الشيخ " ولقد حدث نوع من الامتداد للمدينة نحو الجنوب ، وإقبال من السكان على الأجزاء الملاصقة لذلك الموضع الجديد وأطلق عليه " الصويدرية ؛ مسهرة ؛ بلوى " كأحياء جديدة ، وظلت الأحياء القديمة تمثل تناقضا عمرانيا وسكانيا ، ومع النهضة التى شملت المملكة ظهر التنظيم الجديد للشئون البلدية والقروية وظهرت المخططات الجديدة ، والتى وفرت للأهالى متطلبات البناء الحديث ، ووفرت الإقامة الدائمة ، فتم اختيار الموضع الجديد بعد إنشاء المجمع القروى بالقصب واستقراره وفراغه من تخطيط الأجزاء الشرقية والجنوبية الشرقية من آخر موضع لمدينة القصب ، وكان انتقال المدينة إلى موضعها الأخير هذا سريعا فى فترة تقارب أربع سنوات .

المناخ بالقصب :

لا يختلف مناخ القصب عن مناخ منطقة وسط نجد عموما ، فهى ذات مناخ صحراوى متطرف بين الحرارة والبرودة فى فصلى الشتاء والصيف ، فقد تصل الحرارة فى الصيف إلى ٤٦ درجة مئوية ، وقد تصل فى الشتاء إلى ٢ درجة مئوية .

أما الأمطار فقليلة وغير منتظمة وتسـقط فى فصـل الشـتاء والربيع وتنقلها الرياح (الغربية العكسية – الجنوبية الغربية) ، وقد أثر على القصب بعدها عن جبال طويق فلم تكن فى حماية من الرياح الشرقية والشمالية الشرقية الباردة التى تهب عليها شتاء ، ولذلك تتأثر المزروعات من تلك الرياح ، كما أكسبها هذا الموقع ميزة إذ حصلت على أرض زراعية كبيرة والناتجة من إرساب الأودية للطمى [٢] .

---

(١) المرجع السابق ، ص ١٤ .

(٢) – عبد الله بن خميس معجم اليمامه ، المعجم الجغرافى للمملكة العربية السعودية ، ح ٢ ، ص ٢٨٨
– ناصر عبد العزيز الحمضى : مرجع سابق ، ص ١٤ .

لمحة تاريخيـــة :

لقد مرت القصب بفترات مظلمة من تاريخها ، بعدت فيها عن تعاليم الدين الإسلامى الصحيح ، وخيم عليها جو أشبه ما يكون بالجاهلية الأولى بكل مظاهره من تنازع وفرقة وحرب وقطيعة وخلاف . وأسهمت عزلة البلد وعزلة المنطقة ككل فى تدعيم هذه النزعة ، وإذا تتبعنا تاريخ القصب فى هذه الفترات نجد أنه فى سنة ١٠٠٥ هـ ، هجم الشريف حسن بن حسين بن حسن على بلد القصب ونهبها ودمر بلد الرقيبية المعروفة بالقصب ، وقتل رئيس القصب . ثم توالت الغارات من والى القصب ، إلى أن أتت دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب ولم يبادروا بقبولها ، فغزاهم الأمير عبد العزيز بن محمد بجيش من الدرعية وحاصرهم وضيق عليهم الخناق وأخيرا صالحوهم على أن يؤمنوا بالدعوة [١] .

كل هذه الأحداث توضح لنا أن مجتمع القصب لا يختلف عن غيره من مجتمعات نجد ، حيث الحروب المستمرة ، والسلطة للأقوى .

ويقال إن هذه الآثار الموجودة فى القصب وما حولها هى " القصيبة " قديما ، وهى لا تبعد عن منطقة الملح أكثر من نصف الكيلو ، فقيل إن الملح قد طغى على مائها ، ولم تعد صالحة للحرث ولا للاستعمال ، فنزحوا إلى المنطقة التى تقوم عليها القصب الآن . وجنوب بلدة القصب ملاصق لها آثار وأطلال ، منها قصر كبير يطلق عليه الآن قصر " السيايرة " – آل سيار – من الدعم من بنى خالد ، وإلى ما قبل خمسين سنة كان قصر آل سيار موجودا ، ولكنه الآن أصبح ضمن مبانى بلدة القصب [٢] .

حدود القصب الحالية :

حدود القصب العمرانية حددها المجمع القروى بالمخططات والتخطيط . أما المزارع فهى تنتشر حسب جودة الأرض وقربها من القرى الأخرى حيث تكون المناطق الزراعية مناصفة بين القرى المجاورة لبعضها البعض .

الحركة السكانية بالقصب :

كانت الهجرة من وإلى القصب دائمة وكثيرة فى مرحلة ما قبل البترول ، وكانت معظم

---

(١) ، (٢) عبد الله بن خميس : مرجع سابق . ص . ص ٢٨٨ – ٢٨٩ .

الهجرات سعيا وراء الرزق ، ووليدة لظروف اقتصادية معينة ، فكان سبب الهجرة فى الماضى هو الفقر وضيق الموارد .

ولذلك هناك من يقدر عدد السكان المقيمين فى مدينة القصب بحوالى ٣ آلاف نسمة وعدد يقارب لهذا العدد قد استقر فى مدن أخرى مثل الرياض والكويت والقصيم ، وتعتبر الرياض أكبر مدينة جذب لهؤلاء المهاجرين فى السنوات الأخيرة نظرا لظروف الحياة الحديثة ، ولتوفر سبل العيش ، وتوفر الخدمات وخاصة التعليم الجامعى ، ومصالح أخرى تحتم عليهم الاستقرار بعيدا عن موطنهم .

وقد ذكرت بعض المصادر [1] سكان القصب وقبائلهم كما يلى :

- أسر من تميم منهم : " آل الحميضى " ، و " آل مسعد " ، " آل جريد " ، و " آل عتيق " ، و " آل الحسينى " ، و " آل نمى " .

- وفيها أسر من البقوم ومنهم " آل زاحم " ، و " آل سويد " ، و " آل غدير ، و " آل عوجان " .

- وفيها أسر من عنزة منهم " آل فوزان " ، و " آل جلعود " .

- وبها أسر من بنى خالد أمثال : " آل شعلان " ، و " آل غنام " ، و " آل الرحمة " ، و " آل كنعان " ، و " آل شبيب " ، و " آل جمعه " ، و " آل صالح " ، و " آل ثقبه " ، وبها آل فنتوخ " ، وأسرة علم وفضل وهم من بنى زيد وفيهم إمامة القصب ما يقارب من مائة وعشرين سنة ولا تزال فيهم .

وبها بقايا من آل سيار أهلها الأقدمين .

وبها آل قاسم قحطانيون ، وآل جريان من ظفير ، وبها من بنى هاجر المظافير ، وغير هؤلاء من الأسر الكريمة .

ويعتبر عدد السكان فى هذه المنطقة شبه مستقر ، فلم يشهد مجتمع القصب هجرة مفاجئة ، وفى نفس الوقت لم تكن مواردها متاحة لقفزة سكانية ينتج عنها تغيرات مفاجئة ،

---

(١) عبد الله بن خميس : مرجع سابق ، ص ٢٩١ .

فهى تحتفظ بهيكل سكانى وعمرانى واقتصادى تأثر مثله مثل باقى المناطق بالمملكة بالطفرة الاقتصادية التى شملت المملكة ككل .

والكثافة السكانية بالقرية قليلة بالمقارنة ببعض المجتمعات الأخرى بإقليم نجد ، وهذه القلة العددية من السكان تعمل فى أنشطة اقتصادية متعددة ، مما أدى إلى تناثر القوة البشرية بأعداد قليلة موزعة على أنشطة اقتصادية متعددة منها الزراعة ، وإنتاج الملح ، والتجارة والعمل اليدوى .

القصور بالقصب :

جمع قصر .. ويراد بها المناطق الزراعية التابعة لبلد ما ولكنها نائية عنه فيضطر أهلها لإقامة قصر أو قصور بها ، يشمل كل قصر سور واحد ، وتقام به عدة مبانى شعبية يسكنها عدة أسر ، بقدر الآبار المزروعة التى تحف بالقصر . ينتشرون نهارا فى زراعتهم وفى الليل يأوون بدوابهم إلى هذا القصر .... وإذا كانت الظروف غير آمنة يضعون رقيبا فى أحد أبراج هذا القصر أو أمكنته المرتفعة يراقب التحركات المريبة ، فإذا شعر بشئ من ذلك وتأكده رفع صوته ، أو أطلق طلقة من بندقيته لتراهم قد تجمعوا بمواشيهم ودوابهم داخل هذا القصر .

وهكذا يعيش أهل القصب مثلهم مثل باقى قرى نجد ، قرونا متعاقبة على هذه الوتيرة حتى تغيرت هذه الظروف الأمنية .

وهذه القصور معروفة حتى الآن ولا تزال تستقبل الزراع شتاء لزراعة " البر " ، وقليلا ما تستعمل صيفا ، وأشهرها فى اليمامة مثلا قصور " ضرماء " ، وقصور " ثادق " ، وقصور " القصب " ، وقصور " شقراء " ، وقصور " ثرمداء " ، وهكذا يكون لهذه القصور أثر كبير فى إنتاج البر فى هذه المنطقة (١) .

إنتاج الملح وتجارته بالقصب :

يستخرج الملح من صبخة القصب ، وهى المنطقة الجنوبية للبلدة . ويعتبر الجزء المستغل من هذه الأرض صغيرا ، وذلك لعدة اعتبارات أهمها إرتفاع تكاليف الحفر وأجور العمالة ويسمى هذا المكان " جفارة " وبه عدة " جفر " وتبدأ عملية إنتاج الملح باختيار قطعة أرض تكون قريبة لطريق يمكن إستخدامه " مدقا " بحيث يسهل نقل الملح .

---

(١) عبد الله بن خميس ، مرجع سابق . ص ص ٢٩٢ – ٢٩٣ .

وكان الملح يستخرج قديما بطريقة بدائية ويحمل على الجمال إلى القرى المجاورة ويسمى من يحملة " جمال الملح " وانتاج الملح يزداد مع كثرة الأمطار ويقل عندما تشح المياه ويصعب الحصول عليها ويزداد عمقها . ويفضل بالطبع شراء جزء قد ظهر فيه الملح سابقا ، لأن هناك أجزاء يتم فيها الحفر ويفاجأ صاحب الملكية بفشل مشروعه إذا كانت نسبة الأملاح فى المياه أقل أو اكثر من المعدل المطلوب لإنتاج الملح * .

وبعد شراء قطعة الأرض تحدد ملكيته بأن يحيطها بسور من التراب مرتفع قليلا حوالى نصف متر ويسمى " حبسا " والأرض مربعة الشكل طول الضلع حوالى ٥٠ مترا ثم تأتى مرحلة الحفر فى الأرض وهى أصعب مرحلة ومكلفة .

الزراعة بالقصب :

والقصب منطقة زراعية خصيبة يجود " برها " وتخصب زراعتها ، وتستقبل أودية جيدة لها أثر فى وفرة الماء وخصب الأرض ، فهناك واديها الكبير الذى يقبل من صفحة " طويق " مارا ببلدة " الحريق " ويفضى الى " القصب " فيروى نخيلها ومزارعها مارا " بالرقيبية " ، و " بالغابة " حتى يفضى إلى " ألسبخة " . وشرق " القصب " منطقة زراعية بها ما يقرب من سبعين قصرا ، تضم أكثر من ثلاثمائة بئر زراعية يصب فيها أودية ، منها : وادى " العمار " ، ووادى دويغر ، ووادى " أبا طليحات ، ووادى " أبا الجرفان ، ووادى " أعيوج " ، وبالقصب جبال مشهورة مثل أنف المتينة ، والشفيعى والقمعة ، وكلها متصل بجبل طويق .. وبها طرق جبلية وعقاب وأثماد وقلات ، وبمنطقة القصب رياض ومنتجعات وفلوات خصبة جيدة ، وجنوب القصب خلف السبخة مناطق زراعية وأثرية ونخيل بعلية (١) .

التجارة بالقصـــب :

لا يمارس التجارة فى جميع مجتمعات الدراسة إلا الرجال ولا يذهب للأسواق سوى الرجال ، وهناك سوق بقرية القصب يتكون من دكاكين متلاصقة على شكل مستطيل يقابلها أرض فضاء تتخذ " كحراج " **عام لبيع الإبل والأغنام والسمن و "الأقط" ***، والصوف

---

* إذا كانت الأملاح قليلة فلا يتكون الملح ، وإذا زاد أخرجت نوع من الملح يسمى " صالوخ " طعمه مر ومتحجر ويشبه لوح الزجاج .

(١) عبد الله بن خميس : مرجع سابق ، ص ٢٩٣ .

** الحراج : هو مكان فسيح توضع فيه البضائع على شكل " المزاد " العلنى .

*** الأقط : نوع من الطعام ينتج من اللبن بعد تجفيفه .

وجميعها من الأصناف التى يأتى بها البدو ، ويستبدلونها بما يحتاجون اليه من تمر أو هيل أو قهوة " بن " و " المحامل " و " الفناجيل " و " القماش " .. إلخ ، وليس هناك تخصص فى سوق القرية ، بل توجد جميع أنواع السلع المطلوبة فى الدكان الواحد ، فتجد " النعال " الأخذية وتجد " الأقمشة " إلى جانب أنواع الأغذية والتوابل والأعشاب .

الخدمات بالقصب :

التعليم بالقصب :

كان التعليم قليلا ويقوم به المطوع حيث يقوم بتعليم الصبية على ألواح خشبية من بعد صلاة الفجر حتى صلاة الظهر ، ثم تؤخذ فترة راحة حوالى ساعتين ، ثم يبدأ العمل بعد ذلك الى وقت صلاة العصر ، ومن أوائل المطوعين الذين قاموا بمهمة التدريس سليمان القاسم ، وابراهيم السويد ، وعبد العزيز بن المحارب ، وكان يصرف للمعلم من أوقاف خصصت لهم تسمى " أسبال " هذا بالاضافة للهبات التى كانت تعطى له من أهالى الصبية .

وبالنسبة للإناث فلم تحرم من التعليم فى مجتمع القصب فكانت هناك " المطوعة " لتعليم البنات قراءة القرآن ومن أشهر السيدات ، نورة النمى " أم هديب " ، وقد قابلت الباحثة سيدات يقرأن القرآن ويقرأن الكلمات التى تشبه فى كتابتها كتابة القرآن الكريم فقط ، وكانت هؤلاء السيدات تدعون بالرحمة للمطوعة " نورة " .

خدمات التعليم حديثا :

بالقصب خمس مدارس ، مدرسة إبتدائية ذكور وبها ستة فصول ، ومدرسة ابتدائية بنات وبها أيضا ستة فصول ، وبها مدرسة متوسطة بنين ومتوسطة بنات بكل منها ثلاثة فصول ومدرسة ثانوية بنات بها ثلاث فصول أيضا [1] .

كما يوجد بالقصب مركز رعاية صحية أولية ، كما أن بها مجمع قروى ، ومحكمة ، ومركز إمارة ، ومياه عامة ، وكهرباء عامة ، ومكتب بريد ، وهاتف [2] .

---

(١) مصلحة الإحصاءات العامة ، وزارة المالية والاقتصاد الوطنى ، حصر الخدمات .

(٢) نفس المرجع السابق .

مجتمع الحائر

نبذة تاريخيـــــة :

يرجع تاريخ الحائر القديم ٣٩٨ هـ إلى قبيلة سبيع * ، وسبيع بضم السين من بنى عامر بن صعصعة من العدنانية ، أما بنو السبيع بفتح السين ، فهم بطن من " همدان " وهى قبيلة يمنية تجمع " حاشدا وبكيلا " ، التى عاشت تحت ظروف صعبة من التقاتل والتناحر القبلى ، مما أدى إلى إنتشار الفوضى ، والسلب والنهب ، حتى عم الخوف والذعر سكان المنطقة ، وأصبح التنقل متعذرا بين الحجاز - موطن سبيع الأصلى - ونجد ، والأودية ، فأخذ " عقيل بن عرينه " يفكر بماذا يحمى عشيرته ، وجيرانه من هذه الكوارث ، فاستمال بعض القبائل وتحالف معها ، حتى استطاع أن يرجع إلى المنطقة أمنها بين الحجاز ونجد ، ثم استمر الحال على يد مسعود بن عقيل ، من توحيد الكلمة بين العشائر ، حتى أتى جبران بن مسعود السبيعى وتزعم القبائل ، ولكنه كان عنيفا قاسيا ، فنفرت منه العشائر ، وتفرقت العشائر المتحالفة ، وأصبحت سبيع والبقوم ، بعد ارتحال حلفائها غير قادرة على حرب القبائل ، ولم يكن أمامها سوى هجرة بعض الأفخاذ وانتقالها من الواديين ، فرحل من الخرمة ، ورانية ، وتربة بعض من بنى عمر ، وبنى عامر ، وبنى عمير ، ومنهم المشاعبة ، والصعبة ، والخصران ، وبنى ثور ، والعرينات ، وعجمان الرخم ، والقواودة ، والمشاعلة ، والأعزة ، والصملة ، والجمالين ، واستوطنوا نجدا ، وتفرقوا فى كل من الصمان ، والدهناء ، ورماح ، وحضر العك ، والحسى ، والرمحية ، والحفيرة ، والحاير ، وطبيعة فى الخرج ، وتحضر منها من تحضر ، وسكنوا المدن ، مثل هجر ، والرياض ، والوشم ، والقصيم ، وأقربهم إلى التحضر ، العرينات وبنى ثور (٢) .

الســـــــكان :

وبنجد فى " العارض " أفخاذ من سبيع هى :

١ - بنو " عمـر " :

أ - الخصران . ب - الصعبة .

---

* يبلغ تعداد السكان " ٢٠٠٠ " نسمة حسب تعداد وكالة الوزارة للشئون البلدية والقروية ، ادارة الإحصاء والبحوث .

(٢) فهد المحمد الربيعان : العرينات ، مطابع البـادية للأوفست ، الرياض ، ١٣٩٨ هـ ، ح ١ ، ص ١٦ ، ص ١٨ .

أ – الخصران : أربع عشائر هى :
– الصملة ، آل مجفل آل دهيم .
– الجبور ، آل جقيران .
– النبطة .
– العرينات والملوح .

ب – الصعبة : أربع عشائر هى :
– الجمالين والبليدات .
– آل الشرفى .
– المدارية آل ناقل .
– آل عزة . آل جقران أمراء العزة .

٢ – بنو " عامر " وفى الحائر منهم :
– العنوقة .
– القواودة .
– عجمان (الرخم) ، وآل هديهد .
– القدعة .
– العبادين .
– بنو " حميد " آل زيار [١]
– الصيافى .

ويذكر أن معظم أفراد هذه القبيلة . قد جنحوا للحضارة والاستقرار ، وسكنوا المدن ، وانخرطوا فى الوظائف الحكومية ، وعملوا كضباط وجنود ، وفى الأعمال الخدمية ... الخ ، ويقدر مجموع أبناء هذه القبيلة بنحو أربعين الفا [٢] .

وسبيع الحائر " العارض " هم فخذ من العزة من سبيع ، وكان موطنهم بالحجاز إلا أنه قد حدث خلاف بينهم وبين أهل رانية والخرمة فى الحجاز فرحلوا إلى الحائر بعد أن حاربوا أهلها وأخرجوهم ، واستوطنوها ، ولذلك يسمى أفخاد سبيع الموجودة بالحجـاز بـ " سبيع العلا " ، أما أهل الحائر فيسمون " سبيع الحدارية " لأنهم انحدروا إلى هذا الموطن .

---

(١) حمد بن ابراهيم بن عبد الله الحقيل : كنز الأنساب ومجمع الآداب ، مطابع النهضة ، الرياض ، ١٤٠٤ هـ / ١٩٨٤ م ، ط ١٠ ، ص . ص ١٨٠ – ١٨١ .
(٢) فهد المحمد الربيعان ، مرجع سابق ، ص ١٢ .

وتنقسم الحائر الى بدو وحضر ، حائر الحاضرة وهم المستقرون طوال العام ويعملون بالزراعة * ، وحائر البادية وهم أنصاف رحل ، يستقرون فى فصل الصيف فى مساكنهم بالحائر ، ويرحلون فى فصل الشتاء .

الموقـــع :

تشتمل منطقة " العارض " بالإضافة إلى الرياض على مراكز عمرانية تقع على ضفاف وادى حنيفة وروافده مثل العيينة ، والجبيلة ، والدرعـــية ، وعرقة ، وعريجة ، والحاير ، وعجاج .

وتقع الحائر وسط الجزيرة العربية ، وتبعد عن مدينة الرياض العاصمة ثلاثين كيلومترا من الجهة الجنوبية ، وهى عبارة عن واد منخفض يحيط به سهل صغير من الجهة الجنوبية والجهة الشمالية ، ويحيط بالسهل سلسلة جبال عالية مكونة من عدة شعاب تصب فى منطقة الحائر ، كما يخترق هذه القرية وادى حنيفة المعروف ، ومجموعة من الواديان ، كوادى [نساح " ، ووادى " الحاء " .

مجتمع الحائر وسبب التسمية :

تنطق بكسر الهمزة أو بالياء فيقال " الحائر " أو " الحاير " ومعناها الماء الحائر ، فتقول بعض الروايات القديمة أن سبب تسمية الحائر بهذا الاسم لأنه يصب فيه مجموعة وديان ويحار فيها الماء ، لأنه لا يخرج إلا من واد واحد فقط لذلك أطلق عليهـــا هذا الاســـم ، اما أهل الحائر فيرجعون سبب التسمية ، إلى ســـبب آخر فيذكرون أن الحائر كانت تسمى قديما " الملتقى " ، وقد قامت حرب بين أهـــل الحائـــر " من قبيـــلة سبيع " وقبيلـــة اليامية من نجران وقد كان القتلى فى هـــذه الحرب بأعـــداد كبيـــرة ، فحـــار الدم بينهم فسميت بالحائر .

---

* يعمل بالزراعة فئات اجتماعية معينة ليس منها أهل القبائل ، فأهل القبائل رعاة فى الغالب ، وهم لا يستنكفون العمل بالرعى ، فيقال " الرعى مهنة الأنبياء " أما الزراعة فهم يستنكفون العمل بها ، ويقررون صراحة ، لماذا العمل بيدى بالزراعة ، وهناك من يعمل بدلا منى سواء فى الماضى عن طريق فئات معينة فى المجتمع تخصصت فى ذلك ، أو عن طريق العمالة الوافدة فى الوقت الحالى ، ومنهم من يعلل عدم اشتغاله بالزراعة لعدم المعرفة فهو لم يتعود مثل هذا العمل ولم يتقنه .

الحائر القديمة .

هى منطقة الوادى المزروع بالنخيل وكان يسكنها أهل الحائر قديما ، وما زالت بيوتهم القديمه موجودة إلى الآن ، وقد هجرت وتركت شبه مهدمة ، وهى محاطة بجبال تعلوها بروج قديمة قد شيدت فى أعالى هذه الجبال فرضتها ظروف المنطقة حيث الغارات المستمرة ، فكان يحتمى فيها او يتمركز فيها الرماة اثناء الغزو والحروب ، كما أنها هامة لرصد أى غزو من مسافات بعيدة ، فيعلن عن ذلك ليستعد الجميع لملاقاة هذا الغزو وصده .

حائر الجديدة .

بعد أن تحدثنا عن منطقة الوادى " وهو المكان المنخفض المزروع بالنخيل وبه مزروعات بسيطة بجوار النخـــيل وأهمـــها البطيـــخ ويطلقـــون عليه " الجح " والشمام ويطلقون عليه " البطيخ " ، وبعض الخضروات والقمح " ، توجد الحائر الجديدة وهى فى التقسيم الجديد فى المنطقة المرتفعة عن الوادى قبل النزول إلى البلدة القديمة ، وقدتم تقسيم هذه المنطقة الجديدة إلى شوارع رأسية وعرضية تتلاءم مع ظروف المبانى الحديثة التى انتقل إليها أهل الحائر ، وزودت بالخدمات والمرافق اللازمة .

ويصلها بالرياض طريق مرصوف طوله ٣٥ كيلومتر تقريبا ، وهو لا يتسع إلا لسيارتين متقابلتين فقط * ، وحركة السيارات كثيرة على الطريق نظرا لوجود مصانع الطوب على جانبى هذا الطـــريق ، وما يتبعها من سيارات نقل ، كما يوجد على نفس الطريق بعض المصانع ، ومدرسة الفروسية ، وعدد كبير من مزارع الخضر والفاكهة ومزارع الدواجن ، مما يساعد على زيادة حركة السيارات ، هذا بالإضافة إلى المزارع الموجودة بالحائر نفسها ، ومصنع مياه " نساح " وكلها تخدم الحائر والجزء الأكبر للرياض وما حولها .

النشاط الاقتصادى .

كان يعمل معظم أهلها بالرعى والترحال فى معظم فصول السنة ولا يبقى فى هذه القرية غير عائلتين فقط تعملان بالزراعـــة وتقومـــان علـــى فلاحـــتها ولا يفارقـــونها وهم " الحضر " .

---

* أتخذت الاجراءات اللازمة لتوسعة هذا الطريق .

ونظرا لقلة الأراضى الخصبة فى هذه القرية عمد أهلها إلى زراعة النخيل تشكل غابات خضراء على امتداد الأراضى التى تقع فى الوادى أسفل الجبال ، ويجدر بنا الإشارة هنا إلى أن إنتاج التمور بالحائر كان لا يكفى أهلها فى بعض السنوات مما يدفعهم إلى شراء باقى احتياجاتهم من الأسواق الخارجية ، ويزرعون بجوار زراعة النخيل الخضروات البسيطة لقوت أهل الحضر ، فبدو الحائر لم يأكلوا الخضروات إلا حديثا ، وتعتمد الزراعة بالحائر على مياه الآبار ، ومياه الأمطار ، وتبلغ المساحة المزروعة ٧٠٠٨ر٤ دنم ، التابعة لحائر سبيع وهى " العفجة " ، و " لحا " وتشمل : وشلة ، عريض ، الوسطى ، ويوجد بالحائر " سد الحائر " لحجز مياه الأمطار ، ولا يوجد وحدة زراعية بالحائر ، فهى تابعة لمديرية الزراعة بالرياض ، ويتم الإشراف عليها زراعيا من قبل فنى زراعى من مديرية الزراعة (١) .

كما يعملون فى تربية الماشية ، ولكون الرياض قريبة منهم فقد جعل ذلك السكان يعتمدون فى شراء احتياجاتهم منها ، ويسوقون منتجاتهم فيها ، ما عدا الأشياء الصغيرة اليومية ، فكان هناك سوق صغير يوجد خلف المسجد فى أرض فضاء تسمى " براحة " بها بعض الدكاكين الصغيرة لبيع " الهيل" والقهوة و" الأقط " والسمن ، فيقال " راعى الإقط ، راعى السمن ... وهكذا " ، وعلى جانبه توجد بئر " وركيه " للشرب ، ومكان معد لاستضافة الأغراب وهو تابع للأمير .

الخدمات والمرافق :

تنقسم الحائر إلى قسمين :

القسم الأول : وهو الحائر القديمة الممثلة فى الوادى الموجود به المزارع والنخيل تمتد حتى قرية " ديراب " ، وكان يقيم فيها أهل القرية قديما ، ولقد وصلت إليها المياه والكهرباء إلا أن طرقها ضيقة وغير ممهدة وبها ثلاثة مساجد مبانيها قديمة ويحيط بها مزارع النخيل والخضروات ، والبرسيم ، وبها بعض المحلات والمساكن مهجورة الآن ، وتركها سكانها وسكنوا الحائر الجديدة بالقرب من الخدمات .

القسم الثانى : الحائر الجديدة وتسمى " الظهره أو الواسطة " ويقيم فيها أهل القرية وهم من أهل الوادى بنوا مساكن فى أعلى الوادى فكل رب أسرة له مسكن فى الحائر القديمة وأصبح له مسكن جديد حديث مسلح أو فيلا ، ومتوفر لها جميع الخدمات والمرافق ، حيث يتوفر فيها :-

---

(١) وكالة الوزارة للشئون البلدية والقروية ، إدارة الإحصاء والبحوث ، ملحق رقم ٣٥ ، " بيانات قرية " .

خدمات التعليم :

يوجد مدرستان للمرحلة الابتدائية للذكور وهما مدرسة ابى ذر الغفارى ، ومدرسة عكاشة بن محسن ، ومدرسة الحاير المتوسطة للذكور ، ومدرسة الحاير الثانونية للذكور، كما يوجد مدرسة لمحو الأمية للبنات ، والحاير الابتدائية للبنات ، والحاير المتوسطة للبنات ، والحاير الثانوية للبنات (١) .

خدمات الصحة :

يوجد مركز رعاية صحية أولية (٢) .

خدمات عامـــة :

مركز هيئة – مركز شرطة – مركز مرور – بلديـــة – مركز إمـــارة – دفاع مدنى – مياه عامة – كهرباء عامة – مكتب بريد – مكتب برق – هاتف – تلكس .

إصلاحية الحاير : وهى إصلاحية للتعليم المتوسط الليلى للذكور (٣) .

سوق القريـــــة :

وهو بسيط وبوسط القرية وبه بعض المحلات القديمة ، وبجوار السوق يوجد " مجلس الأجانب " ، وكان يقصده المسافرون والأغراب عن القرية ، ليقضوا فترة ضيافتهم ، ويقوم على استضافتهم الشيخ ، " ويكد على دوابهم " أى تطعم دوابهم ، وهى ما زالت تابعة لأسرة الأمير " آل جفران " .

ونلمح فى نفس السوق بئر قديم يسمى " الركية " ، وكان بالقرية ستة آبار لشرب اهل القرية .

ويوجد بوسط القرية مسجد قديم ، ولكنه جدد حديثا ، ويعتبر المسجد الجامع الوحيد الذى يرتاده المصلون لصلاة الجمعة ، أما المساجد الباقية فهى صغيرة ، حيث يوجد مسجدان صغيران .

---

(١) مصلحة الإحصاءات العامة ، وزارة المالية ، حصر الخدمات ، ص ١٥٩٢ .
(٢) نفس المرجع ، ص ١٥٩٣ .
(٣) المرجع السابق ، ص ١٥٩٣ .

هجرة الضبط :

ما هى الهجرة :

الهجر جمع هجرة ، وهو شكل من أشكال " التوطين " غير المخطط من قبل الحكومة ، ولكنه يقوم على اختيار البدو لبقعة أرض معينة للاستقرار فيها بناء على دعوة من الحكومة للاستقرار ، والتشجيع على هذا ، وذلك عن طريق امداد البدو اقتصاديا وتكنولوجيا ، وهو يختلف عن التوطين أيضا فى ان العبء الأكبر فى الهجر يقع على البدو أنفسهم .

أسباب قيام الهجر :

لقد رأى الملك عبد العزيز أن البدو قوى لا يستهان بها ولكنها قوة مفككة ، ولذلك عقدالعزم على ربط هذا الكيان المفكك الأجزاء ، ليقيم دولة قوية موحدة .

ورأى أن يتم ذلك من خلال استراتيجية شاملة متكاملة تتصف بالمرونة – وستظل المشكلة الأساسية هى مشكلة البداوة والانتماءات القبلية المستقلة عن بعضها فقيام بناء موحد لابد ان يكون على أنقاض هذه الأبنية المفككة ، ولذلك قامت فكرة "الاخوان " وهى فكرة دينية فى المقام الأول ، ولكنها تتضمن فى فجواهاالاستراتيجية السياسية والاجتماعية ، والاقتصادية ، والثقافية ، التى نجحت فى تأسيس الدولة العصرية وقامت السياسة على :

– توسيع دائرة الانتماء ، وذلك عن طريق اعطاء أولوية للروابط الدينية قبل الروابط القبلية ، ولذلك لم يغفل أهمية " النخوة " و " العزوة " ، حيث إنها متأصلة فى نفوس أهل وأبناء القبائل ، ولها دور فى شحذ الهمم ، فهؤلاء الجند من قبائل متفرقة فتجمعهم بذلك فكرة أنهم " اخوان فى الله " أى انصر من أطاع الله ، فالهجرة من البادية هى هجرة إلى الله والتوحيد ، ولذلك ارتبطوا بانتماء أوسع .

– تغيير نظام الملكية : فلقدحل الملك عبد العزيز مشكلة البداوة بفكر جديد يخالف من سبقه ، فالبدو لا يثبتون ولا يطيعون ، لأنهم لا يملكون ملكية فردية إنما الملكية جماعية ولا يسكنون بيوتا ثابتة ، ولذلك فكر فى أن يعطيهم أرضا – ملكية خاصة –ويساعده فى بناء البيوت وبذلك ينقلهم من البادية إلى القرى والمدن ، فيربطهم بالأرض ، ويشعرهم بأهمية الملكية الفردية ، وفى ذلك منفعتهم ، وإذا اخطأوا يمكن ردعهم وبذلك ألغيب الملكية الجماعية للقبيلة ، واعتبرت كل الأراضى البور عائدة للدولة ولا ملك لأحد إلا بإحياء شرعى أو موافقة رسمية وبهذا

فقدت القبيلة سيادتها المكانية وأصبح كل فرد يتحـــرك بمفرده حيث شاء فى أى مكان من المملكة ، كما فقدت القبيلة أهميتها كوحدة اجتماعية مستقلة .

وحيث أن حياة البادية تقوم على الرحال الجماعى فقد أصبح من الصعب الاستمرار فى الترحال بشكل فردى أو على مستوى أسرى ، وهذه الفردية لا تشجع استمرار حياة البداوة أو الترحال ، إذن هى هجرة مدنية ، فمن بيوت الشعر إلى بيوت من لبن وحجر ، ومن الفقر والغزو إلى أرض لا تخون صاحبها إذا عمل بها ومن الخوف والتحذر إلى الطمأنينة .

الســـــــكان :

سكانها من "المقطة " من " قبيلة عتيبة " ، فقد انتقل " بن حميد " شيخ قبيلة عتيبه مع أبناء عشيرته من المقطة للاستقرار فى الغطغط ، وشرعوا فى بناء مساكن لهم من الطين ، وأقاموا مساجد للتعبد ، وحثهم الملك عبد العزيز على التخلص من إبلهم ليضمن عدم عودتهم للبادية مرة أخرى ، فى الوقت الذى شجعهم على اقتسام الأراضى فيما بينهم وتملكها ، ومن هنا عرف البدوى لأول مرة فى حياته الملكية الفردية للأرض .

كما أرسل المشايخ للهجر ليدعوا أبناءها للعمل وكسب الرزق فحاول البعض العمل بالزراعة ، إلا أن ما حدث بالفعل أن بدو الغطغط لا يعملون بأيديهم وما زالت الثقافة البدوية هى السائدة ولكن هناك تفضيل للعمل بالأعمال الحكومية والعسكرية والمدنية ، فى حين عمل البعض فى الأعمال الحرة .

ثم حاولت الحكومة فيما بعد حفر آبار ارتوازية عميقة فى الهجرة لتمد المنازل بمياه الشرب النقية وتزويدهم بالخدمات العامة اللازمة لهم .

لمحة تاريخية عن مجتمع الغطغط :

عندما دعت الدولة إلى التوطين ، والدعوة الى مشروع " الهجر " استجابت قبائل كثيرة لهذه الدعوة ، ومنها قبيلة " عتيبه " * ، فظهرت عدة هجر ** منها هجرة الغطغط ، واستقر

---

* تعتبر قبيلة عتيبة منأكبر القبائل العربية من حيث العدد والقوة والسلطة ، ويرجع نسب القبيلة إلى هوزان بن منصور بن قيس بن عيلان بن مضـــر ، وهى من أكبر القبائل ومن أمهات القبائل فى الجزيرة العربية ، وتمتد قبيلة عتيبة من الطائف شرقا فى الحجاز إلى الوشم والقصيم فى نجد .

** هناك هجرة " الروقه " و " برقا " من عتيبه ، واستقرت " الروقه " " بنفحا " و " الصوح " و " برقا " بـ " الغطغط " و " سنام " .

بهجرة الغطغط فرع من قبيلة عتيبه ، وقد عاشت قبيلة عتيبة مثلها مثل القبائل البدوية عموما ، حياة الرعى والترحال بحثا عن العشب والمراعى والماء نتيجة للظروف القاسية المرتبطة بالصحراء والجفاف .

ولما دعا الملك عبد العزيز للهجر ، وظهرت حركة الإخوان الدينية فى الثلاثينات واقبلوا على العلوم الدينية ، كانت أكبر هجر " عتيبة " هجرة " الغطغط "حيث يقيم زعيمهم " سلطان بن بجاد بن حميد " شيخ المقطة . خصوصا و " برقى " أحد جذمى " عتيبة " الكبيرين عموما . والتف حوله فى هذه الهجرة من قبيلته ومن غير قبيلته كثير من الناس . وأصبحت "الغطغط " مدينة حافلة بمساجدها وأحيائها وعمرانها الممتد على ما به من بساطة وتقشف . ولكن كانت لهذه البلدةهيبة وسمعة كبيرة . وكان قطب هجر الجنوب [1].

سبب التسمية :

"الغطغط " ينطقها سكان " الغطغط " وأهل نجد بغينين مفتوحتين ، وسكون الطاء الأولى والأخيرة ، وينطقها قلة من الناس بضم الغاء وسكون الطاء .

ويرجع ابن خميس التسمية إلى " خطط " وقد تحول إلى غطغط كنوع من الاستسهال فى النطق بين العامة ويتفق بن خميس على نطقها بالطريقة الأولى [2] .

وقد يرجع سبب التسمية إلى أن أرضها منخفضة ، أى " مغطوطة " فى الماء ، وأن اسمها الأصلى هو وادى "ثمامة " وقد سميت باسمها الحديث بعد استقرار أهلها بها .

الموقـــــــع :

تبعد " الغطغط " تسعة وستين كيلومترا عن مدينة الرياض من الجهة الغربية ، وتقع غربى بلدة " المزاحمية " ، ومن الجهة الجنوبية يحدها صحراء النفود ، ومن الجهة الشمالية تقع " جو " على بعدخمسة كيلومترا ، وضرمى .

الخدمات بالغطغط :

خدمات التعليم : توجد بها مدرسة ابتدائية للبنين ومدرسة متوسطة للبنين ، ومدرسة ابتدائية للبنات ، ومدرسة متوسطة للبنات، ومدرسة محو أمية للإناث .

---

(١) عبد الله بن خميس : مرجع سابق ، ص ٢٢٦ .

(٢) عبد الله بن خميس: مرجع سابق ، ص ٢٢٥ .

الخدمات الصحية :

يوجد بها مركز رعاية صحية أولية .

خدمات عامـــة :

يوجد بها مياه عامة – كهرباء عامة – مكتب بريد – هاتف [1] .

حساب الوقت فى مجتمعات الدراسة :

كانت معرفة الوقت فى تلك المجتمعات تعتمد على ما يتاح لهم من الطبيعة فهم أثناء النهار يعتمدون على مواقع الشمس مع الربط بينها وبين ما يتم فيها من الأنشطة اليومية " خروج الماشية " ، أما المزارعون فيحـــددون بوقـــت بداية الزراعة وإطعام " المعاويد " أى الإبل .... إلخ .

وفى أثناء الليل فإنهم يستعينون بالنجوم خاصة نجم " سهيل " الذى يحدد لهم أشياء كثيرة ، وظهور نجوم أخرى أثناء الليل ، وبزوغ الفجر ، وما إلى ذلك من مظاهر طبيعية ، كمساعدة لهم على تحديد الوقت .

حساب السنين ببادية وقرى الدراسة :

كان يتم حساب السنين الماضية بالإشارة إلى ماحدث فيها من المتغيرات المرتبطة بالبيئة ومنها :

– سنة " الكتاد " * ، فى قرية القصـــب ، وقد ســـــميت بذلك حيـــث أطعـــم أهل " القصب " مواشيهم من الكتاد سنة ١٢٣٩ هـ ، ومات أكثر من مائة ناقة وجمل من الجوع والكتاد .

– سنة السخونة : وهى ١٣٣٧ هـ ، وقد سميت سنة السخونة بالقصب حيث انتشر المرض فى الناس ولم يخل منها أى بيت ، وهناك بيوت بالقصب قد أغلقت بالكامل نظرا لوفاة جميع من فى البيت .

– سنة " الخير " حيث رزقت القصب بأمطار وسيول ولذلك سميت بذلك وكانت سنة ١٣٤٠ هـ .

---

(١) مصلحة الإحصاءات العامة ، مرجع سابق ص ١٥٨٩ .

* " الكتاد " نبات متوسط الحجم له أشواك يتم شويها على النار حتى يذهب الشوك منها ثم تعطى للمواشى لتساعدها على الحياة ، وهو يجلب من الشعاب والأودية المجاورة حيث لا يوجد عشب أو " نضيع " للمواشى والدواب بسبب قلة الأمطار .

– أو عندما تنمو المراعى بالبادية فى فصل الصيف فيقولون سنة ربيع كذا أو فى مكان المصيف " المقطان " مثل " سنة بعاج " أو " ربيع الدمنة " ، أو حدوث بعض الحالات غير العادية مثل نزول الثلوج بكمية كبيرة فيقولون " سنة الثلج " أو " سنة الغبار " ، أو انتشار وباء مرضى معين أو آفة فيقولون " سنة الجراد " ، " سنة الجرب " ، " سنة الجدرى " ، " سنة الرحمة " ، " سنة لوفه " ، وكذلك الغزوات أو " اللقوات " ، وهى تحدث بسبب القحط والنزاعات القبلية ، إما على الماء أو الكلاء ، وسنة الكسوف ، سنة الدهر نسبة للجفاف ، سنة السلاج وانتشر فيها مرض بين " الحلال " أى الماشية بالحائر .

obeikandl.com

الفصل الثانى

البناء الاقتصادى بمجتمعات الدراسة

- المناطق الاقتصادية التقليدية -

- مقدمة عامـــــــة .
- مجتمع القصـــب

- النشاط السكانى .
- الزراعة .
- الرعى .
- الصيد .
- التجارة .
- المهن والحرف .
- أعمال خاصة بالنساء .
- الاستمرار والتغير بالبناء الاقتصادى بمجتمع القصب .

- مجتمع الحائر :

- نمط الملكية لدى بدو الحائر .
- الرحيل للبادية .
- حماية ملكية القبيلة .
- الصيد
- الاسلحة المستخدمة فى القتال والصيد .
- الزراعة بالحائر الحاضرة .
- التجارة بالحائر .
- الحرف بالحائر الحاضرة .
- عمل المرأة فى حائر الحاضرة.

obeikandl.com

- الغطغـــــــط

- مقدمة عامة
- اختيار الهجر
- النسق الاقتصادى لبدو الغطغط
- الرعى والترحال
- تربية الحيوان بالغطغط
- الصيد بالحائر والغطغط
- منتجات الالبان لدى بدو الحائر والغطغط
- التجارة بالحائر والغطغط
- المهن والحرف بالحائر والغطغط
- توزيع الأدوار بالحائر والغطغط
- الاستمرار والتغير فى دور المرأة

فى مجتمعى الحائر والغطغط .

obeikandl.com

- مقدمة عامة .

يتركز الاقتصاد بنجد عامة وفى مجتمعات الدراسة خاصة ، على ثلاثة عناصر رئيسية هى : الرعى ، الزراعة ، التجارة ، وتقوم التجارة أساسا على منتجات الرعى والزراعة ، فتمثل الحيوانات والمنتجات الحيوانية وأهمها الإبل والأغنام والماعز الركيزة الأولى والأساسية للاقتصاد بنجد ، كما تمثل التمور والمنتجات الزراعية من قمح بأنواعه المختلفة والذرة الركيزة الثانية ... فعلى هذين القطاعين تقوم التجارة ، وتسوق المنتجات بنقلها من مكان انتاجها إلى أقرب أسواق داخل منطقة نجد ، وكانت تقوم التجارة أساسا على نظام المقايضة ، ثم البيع والشراء.

وتنقسم مجتمعات الدراسة إلى بدو رحل " الغطغط " ، وبدو شبه رحل " الحائر " ، وحضر " القصب " .

وتتميز الحاضرة بنجد عن البادية فى تعدد المجالات الاقتصادية ، على حين اقتصرت البادية على نوع واحد من النشاط الاقتصادى وهو الرعى ، وما يصاحبه من تربية للجمال والمواشى وغيرها # .

وكانت القبائل تعيش حياة بسيطة ، فتسكن بيوت الشعر وثروتها الوحيدة الإبل والأغنام ، وطعامها التمر واللبن على مدار السنة ، ثم أدخل الأرز فى طعام البدوى حديثا وكان يشتريه البدوى من أسواق المدن مقايضة بالحيوانات عوضا عن النقود .

ونظام المقايضة كان شائعا عند البدو والحضر . وهذا النوع من التبادل الاقتصادى يعطينا دليلا على أن الثروة لدى البدو كانت عينية لا نقدية وأنها تقدر بما يملك من حيوانات لا بما يملك من نقود لأن النقود نادة فى الصحراء .

والبدو أقدر من أهل القرى على إنتاج وتربية الحيوانات وارتياد مواطن الماء والكلأ ، ولما كانت بعض هذه الحيوانات من العناصر الهامة للغذاء عند أهل الحضر كان لحياة البادية أثر فى الحياة الاقتصادية العامة .

تؤكد الرحالة الليدى بلنت على أن منطقة نجد من المناطق الصحراوية بلا مطر ولا مياه والتربة فقيرة ورملية وغير صالحة للزراعة باستثناء بعض بقاع محظوظة . وأنها خالية من الزرع إلا مناطق قليلة وهى القرى التى تظهر كنقط متباعدة وسط بحر من الرمال .

الليدى آن بلنت : رحلة إلى بلاد نجد : ترجمة محمد أنعم غالب ، منشورات دار اليمامة ، الرياض ، ط ٢ ، ١٣٨٩ هـ/١٩٧٨ م ، ص ٢٠٦ .

إذن كانت أهم مقومات حياة البادية النجدية الاقتصادية الثروة الحيوانية ومنتجاتها . وكانت تلك الثروة تتأثر بعاملين اساسيين : أحدهما المطر ، والثانى الغزو . فالحيوانات تنمو بنزول الغيث وتقل وتضعف بالقحط ، ونزول الغيث فى جهة دون أخرى كثيرا ما أدى إلى حرب بين قبيلة وقبيلة حول موطن الكلأ ، والغزو كثيرا ما نتج عنه فقر من كان غنيا وغنى من كان فقيرا .

وبالاضافة إلى ذلك كان هناك عنصر اقتصادى هام له أثره فى الحياة الاقتصادية بحاضرة نجد وباديتها وهو الاستفادة من قوافل الحج التى كانت تمر بالمنطقة . فقد كان هناك تبادل تجارى بين رجال تلك القوافل وبين سكان البلدان النجدية التى يمرون بها . وكان رؤساء القبائل يتسلمون مبالغ مالية أو عينية من القوافل التى تعبر الأراضى الواقعة تحت سيطرتهم .

وسوف نتناول الحياة الاقتصادية بمجتمعات الدراسة محاولين إلقاء الضوء على أهم مصادر العيش والنشاط السكانى بتلك المجتمعات .

مجتمع القصب :

• النشاط السكانى :

يعمل الرجال فى أعمال الفلاحة ، " يسقون " و " يحرثون " و " يحصدون " ، و " يلقحون " أى تلقيح النخيل ، أو " يصرمون " أى جنى " التمر " أى ثمار النخيل ، أو يعملون فى إنتاج الملح وتسويقه من الملاحات الموجودة فى جنوب البلدة .

ونظرا لفقر القرية الشديد بمواردها ، فالقرية أرضها صحراوية ، جنوبها أرض مالحة ، بل شديدة الملوحة ، وشمالها جبال ، فإن بعض رجال القصب كانوا يهجرون القرية خاصة فى ايام الجفاف للعمل خارج البلدة ، فكانوا يسافرون إلى الكويت للعمل بأعمال " الغوص " ، أو يسافرون إلى الرياض أو المدن الأخرى القريبة للعمل فى اعمال يدوية ، أو أعمال " الحمالة " أو " التحطيب " أو أى أعمال خدمية أخرى ، فالكد والسعى وراء الرزق كان سمة هامة من سمات هذه القرية .

أما بالنسبة للمرأة فتبدأ عملها بعد صلاة الفجر * مباشرة بعد أن تكون قد ساعدت زوجها فى عملية الوضوء وتحضير الماء أو تدفئته فى الشتاء القارس ، فتقوم بتجهيز وجبة تسمى " الغذاء " تؤكل بعد صلاة الفجر ، وعادة ما تكون عصيدة قمح أو عصيدة " دقس " أو عصيدة " دخن " ، وبعد تناول هذه الوجبة تحضر للزوج التمر ليأخذه معه فى ذهابه لمزرعته ، وإذا وجد لبن تحضر له " صميل " صغير من اللبـــن إن وجد أو مـــاء ، وتســـمى هذه الوجبة (الهجور) .

ثم تقوم بعد ذلك بتنظيف المنزل وطحن الحبوب على الرحى ، و " جرش " بعض الحبوب الأخرى ، لتجهيزها للطبخ ، ثم بعض الأعمال كتنظيف الملابس أو خياطتها لها ولزوجها ولأولادها ، فلم يكن هناك حرفة الخياطة أو الخياط ، إلا لأشياء قليلة وخاصة ، ثم تجهز وجبة العشاء وهذه الوجبة تكون عقب المغرب وعادة ما تكون من " القرصان " وهى قرص عجين يتم تسويته على " مقرصة " ، ويمكن أن يوضع معها " قرع " ، أو وجبة " مرقوق " ، أو " رصعان " وهى تسوى على " التنور " # ، و " الرصعان " من دقيق بر (قمح بقشرته) يعجن ويخبز بان تلصقها المرأة على جدار " التنور " من الداخل ، وتخرج المرأة للبر " للتحطيب " أى جمع الحطب وإحضاره ، وإحضار الحشائش أيضا من البر " تحش " وتجمع العشب ، وتقوم أيضا المرأة بعملية " علف " الإبل فى المزرعة ومكان تواجدها ، وتتم هذه العملية بأن تجهز كمية من طعامه " عشب أو برسيم .. الخ " وتكورها بيدها اليمنى ثم تفتح فم البعير بيدها اليسرى ماسكة شفته العليا ، وتدفع الطعام فى فمه فيمضغها ويبتلعها ، ثم تجهز أخرى وهكذا – وتسمى هذه العملية " تلقيم الماشية " – ويتم تجهيز علف الإبل بواسطتها ، أى حشه أخضر من المزرعة أو من البر ، ثم تقطيعه ، أو دقه أو خلطه ببعض الأنواع الأخرى مثل ورق الطلح ويسمى " الخبط " ويجهز فى إناء كبير يسمى " الجذعة " ولهم ثلاث وجبات عند طلوع الشمس ، وفى الظهر ثم وجبة فى الليل بعد المغرب .

كما تعمل المرأة مع زوجها جنبا إلى جنب فى أعمال الزراعة وخاصة فى أوقات ضغط العمل ، والاحتياج إلى مساعدين ... مثل حفر البئر ، أو حرث الأرض وسقيها وحصادها .

---

* يقوم المؤذن بآذانين آذان عند حلول وقت الفجر وآذان يسبقه بحوالى ساعة ويسمى آذان " النباه " ، ولم يكن فى ذلك الوقت ما يعرفهم الوقت سوى بعض الظواهر الطبيعية ، كظهور النجوم ، أو ظهور الضوء ، أو الشمس ، أو تحرك الشمس .

التنور عبارة عن حفرة مستديرة عميقة حوالى متر ويوضع بداخلها الوقـود .

كما تعمل المرأة فى المزرعة بعد موسم الحصاد أى بعد مضى ستة شهور من زراعة القمح ، تبدأ فى زراعة الخضروات والحبوب ، مثل نبات " العسفر " الذى تستخدمه فى تلوين شعرها وتغذيته به ، وكذلك زراعة الحلبة والرشاد والبصل والباذنجان والطماطم والكوسة واللوبيا والفلفل ، كما تزرع الفواكه مثل البطيخ والشمام ، وهى تسهم فى عملية الحرث حيث تقود الإبل أو تسوق الحمير ، وخاصة فى حالة عدم وجود أبناء ذكور ، أو " صبى " الاجير ، كما تحلب الماشية مثل الأغنام ، الأبقار ، البعير ، وتنظف مكانها ، وتخرج الأغنام فى الصباح مع " راعى " القرية كسائر أغنام أهل القرية ، كما تقوم المرأة أيضا بجلب الماء وتسمى " روى " وتحضره فى إناء كبير نحاس يسمى " مروى " .

• الزراعـــــة ،

كانت أمطار المنطقة غير ثابتة التوقيت ، ومن الصعب على المزارعين وضع برنامج زمنى يعتمدون عليه فى الزراعة ، حيث كانت الأمطار تقل لسنوات متصلة ، بحيث يقل ويتناقص حجم المياه فى جوف الأرض وفى الآبار ويصبح بالقرية شبه جفاف ، فلا تفى المياه لأغراض الشرب والزراعة ، وكانت هناك سنوات كثيرة يجهز فيها المزارعون بالقصب بذورهم قبل دخول موسم الشتاء لكن يمر هذا الفصل دون هطول الأمطار التى تمكن من وجود مزارع روتها المياه وتصلح لطرح البذور فيها مما يجعلهم يحتفظون بتلك البذور لعام قادم وهكذا .

ويطلق على هـــذا النـــوع من الزراعة (زراعة البعول) ، والمزرعة الواحدة يطلق عليها (بعل) وهى التى تعتمد على مياه الامطار وتترك وقت الجفاف .

وهناك الأرض الزراعية بالقصب والتى تعتمد على الآبار * التى تغذيها مياه السيول عن طريق تسربها خلال الأرض المسامية الرملية ، والمنطقة الجنوبية من البلدة لا تصلح للزراعة حيث المياه الشديدة الملوحة ، وتسمى الصبخة ويستخرج منها الملح . ويتحدث أهل القصب عن الزراعة قديما وعن تذبذب المياه وأثرها على الزراعة .

حفر الآبـــار :

وكان أهل القصب كغيرهم من أهل نجد يعتمدون على المياه الجوفية التى تستخرج من الآبار العميقة ، وكانت هناك صعوبة فى الكشف عن أماكن المياه الجوفية فكان هناك شخص

---

* إن منسوب المياه فى الآبار حاليا منخفض وإن هناك شبه جفاف بالنسبة لعدد كبير من الآبار ، وقد يرجع ذلك لقلة الامطار وانتشار الآلات الحديثة لشفط المياه لتغطية احتياج المزارع .

متدرب على معرفة أماكن المياه يسمى " سواس الماء " أو " يسوس او يصنت الماء " ، وكان يعتمد على ظواهر معينة وعلى مهارة خاصة فى معرفة مكان البئر للحفر ، وعندما يرشد صاحب البئر أو صاحب الأرض عن المكان الصحيح يأخذ مبلغا قليلا من المال أو شيئا عينيا ، ثم يتم الحفر بواسطة " العتل " و " الهيب " أو " الهيم " ، وهى عبارة عن قضبان كبيرة من الحديد مدببة فى النهاية ، كما أن بعضها بها كتل مكورة من الحديد .

وكان الحفر بطريقة بدائية يدوية يشترك فيها الأهل والجيران ولا يستخدم فيها عمالة أو أجراء ، ويقوم صاحب البئر بإطعام هؤلاء المشاركين ، وكان الجيران يقومون بالإسهام فى هذا الأطعام ، بحيث لا يقع العبء كله على فرد واحد بل يحدث نوع من التناوب فى إطعام هؤلاء العاملين حتى يتم الحفر ، وهو تعاون متعارف عليه عند أهل القصب ، فترد هذه الخدمات عندما يكون هناك أعمال مشابهة .

وتستخدم حبال مفتولة من ليف النخيل ، وشرائح جلد مصنوعة من جلد البعير لإنزال الرجال بداخل البئر أثناء الحفر ومعهم " زنابيل " لحمل تراب البئر ويسمى " نثيله " إلى الخارج .

وكلما اتجهنا شمالا بالقصب تصبح المياه أكثر عذوبة ، وكانت تخصص الآبار العذبة لشرب أهل القرية ، وتقوم النساء بجلب المياه فى قدور على رؤسهن ، فكانت تخرج مجموعات من الفتيات بعد صلاة العصر لجلب الماء * وكان الماء يؤخذ دون مقابل " صدقة " من أصحاب الآبار ، ويذكر من هـــــذه الآبار " ذهبيـة " ، و " ركية عثمان " ، و " أم الذهب " ، و " الخيس " . أما باقى الآبار الموجودة فى جنوب القصب فهى ذات ملوحة عالية وهى عند " صبخة القصب " .

استخراج المياه للزراعة :

يستخرج الماء من الآبار عن طريق الســـوانى ، وهى عبـــارة عن خشـــبتين كبيرتين (يثبتان) فوق البئر مثل جزعى شجرة ، ويثبت بهما " المحاله " وهى تشبه البكرة معلقة فى الحامل الذى فوق البئر وتجرها الجمال أو الحمير عن طريق " السريح " وهى شرائح من

---

* كانت هناك فرصة للشباب من القصب لرؤية الفتيات عند جلب الماء فكان أحيانا يختبئ الشباب خاصة طالب الزواج ليختار من الفتيات من تصلح زوجة له .

جلد البعير ، وأحيانا يجرها الرجال وقد يساعدهم النساء ، فيقال " يزعقوا " أى يطلبون المساعدة ، وعند الجر تنزل " الغروب " وهى من جلد حيوان مثل الماعز " تشبه القربة " فيمتلئ بها الماء من جوف البئر ، وينزل " الغرب " عن طريق إرخاء الحبل " الرشا " ، ثم يشد مرة اخرى فيكون قد حمل الماء ثم يصب ما فى " الغروب " من ماء فى مكان بجوار البئر ، ثم يمر بقناة ويسيل بواسطتها إلى المزارع ، ويسمى مكان تجمع المياه " الجابية " وهو يشبه الحوض محاط بالطين لعدم تسرب الماء من خلاله إلى أسفل البئر مرة أخرى ، وتملأ " الجابية " فى الليل حتى يمكن استخدام المياه فى الصباح ثم تستمر السوانى فى تعويض ما يفقد من ماء " الجابية " . وبين البئر وبين السوانى طريق يسمى " المنحاة " ويكون طوله بطول البئر . ويمكن تلخيص الأدوات الخاصة بالسوانى كالآتى :

- المركازان أو الدراج : وهم من خشب متين (الأثل) توضع فوق البئر .
- المنحاة : وهو المكان المخصص لذهاب الإبل وعودتها لإخراج الغروب محملة بالماء من البئر .
- الغروب : وهى تشبه " القربة " بمصر وهى من جلد الماعز تقريبا .
- المحالة : وهى بكرة من الخشب بوسطها محور لتثبيتها .
- السريح : وهى شرائح من جلد البعير لتربط على " الكتيب " الذى يوضع على ظهر الإبل . كما يربط أيضا حبل من الليف يصل من " الغروب " وظهر الدابة ويسمى " الرشا " .
- الجابية : وهو مكان تجمع المياه بجوار البئر وهو يشبه " الحوض " .

الزراعة بالقصور :

يهجر أهل القصب قريتهم فى الشتاء ولا يبقى بها إلا من يحرسها ، ويسكنون فى القصور ، والقصور عبارة عن مساحة متسعة من الأرض محاطة بسور مبنى من الطين وبأركانها " مقاصير " ، هذه المقاصير عبارة عن أبراج للمراقبة ، والحراسة ، ومن الداخل يوجد فيها أماكن يقيم فيها الأهالى كهجرة مؤقته وأماكن لتخزين المحصول ويرجع تصميمها هذا إلى الرغبة فى توفير الأمن لسكانها ، وتبقى العائلات بهذه القصور فترة الزراعة وحتى يتم حصاد الزرع فى الصيف ، وفى فترة الشتاء والربيع تهجر القرية تماما * ، وعند عودة

---

* يسكن بالقصور المزارعون فترة الزراعة ، وأحيانا يعودون إلى البلدة فى بعض الأوقات عندما تكون المزارع ليست فى حاجة إلى عمل ، بشرط ترك حراسة بها ، وفى فترة ترك الفلاحين للبلدة وإقامتهم بالقصور يترك أيضا حراسة بالبلدة وهكذا .

أهل القصب إلى القرية تترك القصور ويترك بها من يحرسها ، ويحرس القمح المحصود والمكوم على شكل أكوام تسمى هذه الأكوام بـ (كدوس) ويسمى القمح بالعيش .

الخطوات التى تمر بها العملية الزراعية بالقصب ،

كانت المزارع تسمى بأسماء أصحابها أو تسمى نتيجة لحادثة معينة أو صدفة ما حدثت فى هذا المكان أثناء بدايات العمل وتجهيز المزرعة مثل مزرعة " قرقاصة " نسبة الى شجرة قرقاص " وجدت فى مكان حفر البئر بهذه المزرعة . ومن المزارع ، مزرعة " ام الذهب " و " العرعية " و " سمحة " و " الخشرمية " و " ركية الشويعر " و " الطالعه " و " فيد الرمثية " و " قرقاصة " .

وكانت كل هذه المزارع قديما عامرة بالحياة تمتلئ بالخضرة والمياه ، أما الآن فقد أصبحت خاوية من كل شئ حتى النخيل فى معظمها ماتت بعد أن هجرها أصحابها .

وهناك نوعان من الزراعة بالقصب " كما سبقت الاشارة " ، فهناك الأرض التى تزرع على مياه الأمطار " السيل " وهى بعيدة عن الديرة . وتسمى " البعول " والمزارع التى تزرع على الرى من البئر وهى قريبة من الديرة ، وتكون المياه عذبة كلما اتجهنا إلى الشمال ، وبالعكس يزداد تركيز الأملاح كلما اتجهنا إلى المنطقة الجنوبية المنخفضة ، والتى تعتبر ملتقى أودية المنطقة وفيها توجد " صبخة القصب " .

ويعمل الرجل والمرأة وأولادهم فى الزراعة وهناك أنواع من التعاون بين المزارعين بعضهم مع بعض فى أوقات العمل الصعبة ، وفى حالة الاستعانة ببعض العمالة يدفع لها أجر بسيط لا يتعدى القروش فى اليوم ، وغالبا ما تكون أجرتهم سنوية أو موسمية ولا يتعدى الأجر مبلغا زهيدا بالإضافة إلى ما يتناوله من طعام لدى رب العمل .

وتبدأ العملية الزراعية بتسميد الأرض وحرثها " بالمجرة " أو " المحراث " * ثم تقسيمها إلى حياض بينها قنوات تسمى " كالة " لسقى الحياض ، ويعد عمل الحياض بواسطة " المسحاه " أو " المنساف " يتم بذر البذور ، ثم تفجير المياه بواسطة " الرايس " وهو الذى يشرف على الرى وذلك بتفجير الماء من فتحة صغيرة حتى يمتلئ هذا الجانب فتسد هذه الفتحة بحجر أو قطعة قماش أو طين وتسمى هذه السدة " المعراض " .

---

* تشترك المرأة مع الرجل فى عملية الحرث ، فالمرأة تسوق الإبل أو الثيران وتطعم الإبل ، كما تساعد فى تجهيز " المحراث " إن وجد .

هذا إذا كانت الأرض فى حاجـــــة إلى ماء ، أما إذا كانت بعـــد المطر فيؤجل عمل " الرايس " عند اللزوم ، وقد تمتد الفترة لأسابيع وربما إلى أن ينبت الزرع ، وفى بعض السنوات التى فيها أمطار وخير وفير قد لا يحتاج الزرع إلى سقاية حتى حصاده ، وتكون هناك فترات راحة تسمى " إناخه " نظرا لإناخة الإبل ، أما فى السنوات قليلة المطر أو عديمة المطر فقد يحتاج الزرع إلى سقاية أكثر من خمســة أشهر قد تصل الى " اربعانية " الشتاء ، أى منتصف الشتاء ، ويكون زرعها أقل جودة من الزرع الذى يتم قبل دخول الشتاء أى فى آخر فصل الخريف ويسمى موســم " الوسم " ، وتسمى سقاية الزرع فى مراحل نضجه الأخيرة " الشربه " .

موسم الحصاد .

إذا اصفر الزرع " القمــح أو العيش " واكتنزت السنابل بالحبوب بدأ حصاد الشعير أولا ، ثم القمح العادى (الطرى) ثم يأتى دور القمح " اللقيمى " الصلب ، وتشترك المرأة فى عملية الحصاد التى تستمر من طلوع الشمس وحتى وقت الغروب ، ويشترك الجيران والأقارب فى عملية الحصـــاد ، فيصطفون على هيئة صفوف بحيث يحصد كل صف منهم جنبا من الزرع ، وذلك بواسطة " المقشة " وهى تشبه المنجل ، تاركين خلفهم أكوام الزرع متراصة وتسمى " طرائق " ثم يجمع كل عدد من " الطرائق " مع بعضها البعض ليكون " غمورا " جمع " غمر " وعند تجميع " الغمر " مع بعضها تكون " الكدوس " وهى كومة كبيرة ، ثم يضعونها " الكدوس " واقفة رأسيا على جنوعها أى على أعوادها ، وتكون السنابل الى أعلى ، وترص " الكدوس " بجوار بعضها البعض متقاربة .

وفى حالة الأزمات والاحتيـاج ، يفرط الناس السنابل وهى رطبة ، ويجففونها ويطحنوها ، وتطبخ ، ويعمل منها طعام ذو مذاق حلو ، وذلك بخلطه بالتمر .

وفى هذا الموسم، يقوم الأهالى بشوى القمح العادى (الحنطة) على الحطب وتسمى " شويه " وتسمى هذه السنابل " شلواطه " ، وبعد أن تشوى تفرك السنابل " التبن " ليبقى حبوب القمح الطرية المشوية لتؤكل ساخنة تشبه الذرة المشوية .

دوس العيش أى درس القمح وفصل التبن عن الحب .

ويسمى " الدياسة " أو دياسة الزرع ويتم على النحو الآتى : هناك أرض فضاء صلبة قد تم تجهيزها " لدوس العيش " وذلك بأن تسوى هذه الأرض بالطين والماء حتى تصير ناعمة

وجافة وصلبة وملساء وتسمى هذه الأرض " القوعة " وهى فى حدود ٢٠ مترا تقريبا على شكل مستدير ، وتنقل إلى هذا المكان " الكدوس " وتداس بـ " الحمير والثيران " ، وتظل الماشية تدوس بحوافرها على الزرع الجاف حتى يصبح حبا وتبنا وتخرج الحبـــوب كلها من السنابل " ويكوم " على هيئة أكوام كبيرة .

عملية الذرى أو التدرية .

وهو فصل التبن عن القمح " يدرونه " وتتم فى يوم بها رياح غير شديدة * فيقوم الرجال والنساء بملاء " الزمبيل " أو " الزبيل " * * بالقمح " العيش " ويضعه على رأسه ويضع كف يده عند نزول القمح من أعلى ويمسك باليد الاخرى " الزبيل " ثم يبدأ بصب " العيش " فيسقط الحب إلى أسفل ويطير التبن مع الريح على مسافة فى حدود مترا أو مترين حسب شدة الريح ، ثم يغرف (الزبيل) مرة أخرى وهكذا حتى تنتهى عملية التذرية ويتم فصل القمح فى جانب والتبن فى جانب آخر .

ثم يخرج الفلاح جزءا من المحصول لذى القربى والفقراء ومن يتعاون معه كراعى الإبل وراعى الغنم ، والحداد ، والنجار ، و " الرايس " أو مفجر الماء وسائق السواني وغيرهم " غمرا " أو " حضنا " ، ثم يعبأ الباقى فى أكياس من الخيش يصنعها البدو تسمى " العدل " ويخزن التبن كعلف للبهائم .

وبعد إخراج الزكاة أو ما شابه ذلك ، يخزن فى بيته ما يحتاج إليه للسنة ، ويقوم ببيع ما يفيض منه ، وفى هذا الموسم تعمل " المراصيع " وهى اقراص من القمح المطحون ومعها سمن و " دبس " وهو العسل الذى يتسرب من التمر اثناء تخزينه ، أو أقراص " البر " القمح ومعها السمن البرى والبصل .

زكاة الـــزوع .

كان الإنتاج الزراعى قليلا ، ولكن يقال " كانت فيه البركة " وكانوا يسعون للزيادة حتى

---

* ليس للذرى وقت محدد فيتوقف على هبوب الرياح المناسبة .

* * الزبيل عبارة عن وعاء مصنوع من الخوص وهو يشبه " المقطف بمصر " .

يتمكنوا من إخراج الزكاة ، وكانت طريقة إخراج الزكاة فى القصب أن يأتى رجل مندوب عن الأمير ويسمى " الخراص " قبل موعد الحصاد ليرى المحصول ويحدد مقدار الزكاة ، وتجمع هذه الزكاة وتورد للأمير وتسمى " زكاة العيش " ثم يوزع جزء منها على فقراء البلد " ضعاف البلد " واليتامى .

المنتجات الزراعية للقصب :

القمح : يعتبر القمح من أهم المنتجات بالقصب ويزرع بمنطقة القصور فى فترة الشتاء وينتج منه أكثر من نوع فمنه القمح " الطرى " ومنه أنواع متعددة حسب صلابته ولونه وطول سنابله ، وهو من أهم أنواع الحبوب وأشهرها ، وهو الغذاء الرئيسى وتقوم عليه معظم الوجبات ، وهو أنواع منها ، البر ، واللقيمى ، والقمح الطرى " الحنطة " يطحن ويستخدم أساسى فى الوجبات ، وهناك القمح الصلب " اللقيمى " : وهذا النوع يجرش ولا يطحن ، ومن الصعوبة فصله عن قشرته .

ثم هناك الشعير : ويأتى إنتاجه بعد القمح ، ويؤخذ منه قبل النضج كعلف للمواشى ، وبعد النضج يكون غذاء للمواشى خاصة الأغنام ويدخل أحيانا فى غذاء الانسان .

والذرة : من المحاصيل الصيفية ، وهى أنواع مثل الذرة الرفيعة والذرة الشامية ،

والدقس : وهو النوع الجيد من " الدخن " ويقطع منه فى أول زراعته للماشية وعندما يتم نضجه يستخدم فى وجبات أهل القرية ، مثل " عصيدة الدقس " فى الشتاء ،

والدخن : ويستخدمه أهل القرية وخاصة فى حـــالات القحط فيعمل منها " عصيدة الدخن " ، وفى العادة يستخدم للماشية .

الخضروات : تعتبر بعض الخضروات أساسية ، حيث أنها تستخدم كعناصر مكملة لبعض الوجبات ، وتزرع القصب أنواعا متعددة من الخضروات مثل الباذنجان واللوبيا والقرع بنوعيه المستدير الكروى والأصفر المستطيل ، والطماطم ، والكوسة ، والفلفل الحار " حبحر " ، والفلفل الاخضر .

وتزرع هذه الخضروات على نطاق ضيق ، حسب احتياجات البيت ، وما قد يتم توزيعه على الجيران والاقارب ، ويقوم صاحب الارض بزراعتها فى فترة خلو الارض من المزروعات الاساسية " الحبوب " وتزرع النساء بعض الخضروات على " السوانى " أى بجوار البئر أو فى احواض خاصة .

ويزرع القرع فى موســـم " السماك " الربيـــع ، ويزرع باقى الأنواع قبل بداية الصيف * ، وبجوار هذه الانواع من الخضر يزرع البطيخ " جح " ، والشمام ، والأترنج ، وهى للاستعمال المنزلى وبعض الهدايا للجيران والزوار ... الخ ، حيث اعتادت القرية أن تعطى من مزوعاتها ، دون مقابل ودون خجل من ذلك .

- غرس النخيل : فى موسم الربيع " السماك " يأتى الفلاح بفسائل النخيل ** ، أو كما يسمونه " أفراخ النخيل " من جيرانه أو أقاربه ، ويعمل حفر بالأرض عميقة يزيد أو يقل عمقها حسب نوع التربة ، وبقطر متر تقريبا ، وتترك مسافة كافية بين كل حفرة والاخرى تسمح بان تحصل النخلة على ما تحتاجه من الارض ، وكلما كانت المسافة كافية كان إنتاج النخلة أفضل ، وتطرح النخلة بعد خمس سنوات تقريبا ، وقد تقل المدة إذا كانت الارض خصبة ، ويحتاج النخيل إلى عناية خاصة فى بدء زراعته ، فلا بد من تزويدها بالمياه وريها بصورة منتظمة فى الفترة الأولى من زراعتها ، وتسمى وهى صغيرة " خيص " وإذا كبرت تسمى " عيدانه " ، كما يتم تلقيحها فى فصل الخريف .

الصـــــرام : والمقصود به " الجذاذ " أى جنى محصول النخيل ، ففى موسم التمر يصعد أهل المزارع إلى النخلة بواسطة " الكر " * * * وهو رباط يلفه المزارع أو العامل حول وسطه مع النخلة ، ويصعد به لاداء العمل سواء كان تقطيع الجريد ، أو " التشييف " إزالة الشوك من الجريد ، او التلقيح - عبارة عن أخذ شمراخ من عرق الفحـــل ثم يربطه فى وسط

---

* تزرع الخضروات والفواكه فى بداية فصل الربيع وفى منتصفه وقبل بداية فصل الصيف حيث أنها تحتاج الى الماء باستمرار لضعف جذورها ، ولذلك فهى موسمية ولا تزرع على مدار السنة .

** تؤخذ الفسائل من جذوع أمهاتها ، وعند وضعها فى التربة تمتد جذورها فى الأرض ، ثم تفصل بعد ذلك عن أمها ، وإذا كانت الفسيلة مرتفعة عن الأرض ، يعلق لها " زبيل " ممتلىء بالتربة بجوار النخلة وعندما تتمدد الجذور فى " الزبيل " تفصل الفسيلة وتنقل إلى المكان المهد لزراعتها مسبقا .

*** "الكر " عبارة عن قطعة من نسيج " السناف " وهى التى تكون خلف ظهر الرجل ثم حبل من " القد " المجدول ، وهذا الجزء يكون حول النخلة ، ويشبك الحبل بمشبك فى الجزء الذى عند ظهر الرجل ، ويمسك الرجل به ويضغط على النخلة برجليه ثم يجذب الحبل ويصعد خطوة خطوة وهكذا .

" عنوق " النخلة أى العروق التى تحمل التمر أو " القنوان " لأن البسر إذا لم يلقح يتساقط من عروقه .

وعند جنى ثمار النخيل (الصرامة) يصعد الرجـــل " بالكـر " ومعه " زبيل " لتعبئة " العنوق " أى الشماريخ ، ومعه " المحش " ليقطع به ، ثم يدلى " الزبيل " بعد ملئه لتتلقفه الزوجة أو من يساعد لتفريغ ما فيها ثم يجذب الزبيل مرة أخرى وهكذا ، أو ينتظر مجموعة تحت النخلة وقد تحمل ما يشـــبه الســـجادة من أطرافها الأربعة ليســقط الرجل " العنوق " بها دون أن ينفرط التمر .

وبعد إنزال العنوق يتم تصنيف التمر كل نوع على حدة ثم تنقيته من الشوائب ، وعزل البسر والعنوق ، استعدادا لتخزينه " كنزه " وبيع الفائض ، بعد أن يكون قد أخرج زكاته ، وصلة رحمه ، وإعطاء الضعفاء من أهل القرية .

ومن الأشياء الطريفة التى كانت تحدث بين الزوج والزوجة انه فى أثناء عملية " الصرامة " هناك تمر يسقط من النخلة يسمى " اللقاط " او " السقاط " تأخذ الزوجة هذا " اللقاط " لنفسها فتتصرف فيه بما تشاء ، فقد تبيعه وتشترى بثمنه اى شئ من احتياجاتها الخاصة .

ونفس الشئ بالنسبة للأشخاص الموجودين أثناء " الصرامة " فيستسمحون صاحب النخل لأخذ هذا " اللقاط " ، وذلك يتم أثناء عملية " الحصاد " فالسنابل التى تسقط فى "الحصيدة "تلتقطها الزوجة أو غيرها وتسمى أيضا " اللقاط " وهكذا ...

ويكال التمر بوعاء يسمى " الوزنة " وعندما ينقل " التمر " من مكان لآخر أو للذهاب به للسوق ، يعبأ فى أوعية من خوص النخيل تسمى " الخصف " ، وهى تشبه " برش العجوة بمصر " .

أدوات الزراعـــة .

كانت الأدوات الزراعية بدائية وبسيطة بالطبع نظرا لظروف المنطقة فلم تكن القصب ولا المنطقة بأكملها تعرف سوى هذه الادوات البدائية ، وكانوا يواجهون الصعاب والمشقة ، وكان الجميع يعمل دون استثناء الكبار والصغار ذكورا وإناثا ... بكل جهد ونشاط من طلوع الفجر حتى غروب الشمس والأدوات عبارة عن :

المحراث أو المجزة ، عبارة عن خشبة طولها حوالى ثلاثة أمتار فى طرفها الأمامى ثقب يدخل منه الحبل " الرشا " التى تجره الابل أو الثيران وفى مؤخرة الخشبة قبل نهايتها بحوالى متر ثقب واسع مثبت به خشبة مائلة إلى الأمام بطرفها الأمامى لسان من الحديد ، لشق الارض ، وفى نهاية الشرخ ثقب رأسى مثبت به عصا ليتحكم الرجل فى العملية وفى التوجيه نحو خطوط مستقيمة بجوار بعضها البعض .

المســـــحاة ، عبارة عن قطعة عن الحديد مربعة الشكل تقريبا وبها فتحة مستديرة تركب فيها عصا طويلة طولها متر تقريبا من خشب " الاثل " ، وتستخدم فى تقسيم الأرض وعمل القنوات بين الأحواض وتسمى " كاله " .

المقشـــــــة : وهى عبارة عن آلة حادة من المعدن الرقيق ، وتستخدم للعشب .

العتلـــــــة ، وهى قطعة من الحديد طويلة ومدببة .

المدمثـــــة : عبارة عن مثلث من الخشب به فتحة يدخل فيه عود طويل من الخشب وتستخدم لتسوية " العيش " القمح بعد تذريته ، وتسوى الأرض .

كما أن هناك أدوات أخرى لأغراض مختلفة مثل :

الفـــــاروع ، وهو عبارة عــن قطعة حديــد بوسطها فتـــحة لإدخال عود من الخشب ، أى أن لها حدين * .

القـــــــدوم : وهو عبارة عن قطعة حديد مستطيلة تقريبا ولها حد قاطع وفى أعلى قطعة الحديد فتحة لدخول عود الخشب .

الفـــأس ، ويستخدمه " القصاب " فى تقسيم الذبيحة وتكسير العظم حيث أن أهل القصب لا يعرفون " الساطور " .

النباتات الطبيعية بالقصب ،

فى القصب أشجار وشجيرات وأعشاب متنوعة مثل :

* يستخدم " الفاروع " اذا كان الحطب طلح " أرطى " أو " سلم " أو " اثل " .

" السلم " وهو نبات طويل يصل ارتفاعه إلى أكثر من مترين فيه أشواك طويلة ، و " العوشز " أو العوسج وهو نبات أصغر من السلم ويشبهه ، وله ثمار حمراء ، و " الحمض " أو " الرمث " وهو نبات شجرى طوله متر تقريبا واغصانه بيضاء ، و " الحرمل ؛ وهو نبات شجرى ذو اوراق خضراء وأغصان صفراء وثمر أبيض ، والشبرم ، والجثجاث ، والكليب ، والصخير ، والطبطاب ، والشيح ، والحمارى ، والسواد ، والطرفاء ، والكتاد ، والجعد ، والنقد ، والعراو ، وهى تستعمل كنباتات طبية ولإغراض اخرى ..

وتوجد الحمض فى شمال وشمال غرب القصب وبعضها شرق القصب ومنطقة القصور، أما الحرمل ، والسلم والعوشز (العوسج) ففى مجارى الوديان ، والأراضى الجبلية عند أماكن الصخور والأرض الوعرة كالشفيعى والجحفة والفريدة والمتينة والمقيود والقمعة ، أما الصخير والحمارى والجعد فهو فى الجبال ، أما نبات " الطرفاء " فينبت فى السبخة فى جنوب القصب ، أما روضة العكرشية والمناطق الطمية فينبت فيها " الفقع " * (١) .

زراعة التوابـــل : كما أن هناك زراعات لبعض أنواع التوابل مثل : الحلبة ، والرشا ، والحبة السمراء ، وهى حبة البركة ، والكمون ، والعصفر ، وكلها توابل للطعام ما عدا العصفر الذى تستخدمه النساء لشعورهن فيعطيها لونا محمرا بعد اضافته لبعض المواد ، ليكون ما يعرف باسم " المشاط " .

• الرعـــــى :

كان الأهالى بالقصب يقومون بتربية الاغنام ، ويستأجرون من يقوم برعيها نظير أجر متفق عليه ، فكانت تخرج هذه الاغنام من " الدور " بعد صلاة الفجر ، وتتجمع فى قطعان عند (باب الحوطة) ، و (باب النقبة) فى غرب القرية ، ويتسلمها الراعى من أصحابها ، فكانت هذه الفترة تعتبر فترة لقاء لأهل القرية يتجمعون فى مجالس مخصصة للجلوس **، ثم يتفرق أهل القرية ليعودوا للتجمع مرة أخرى بعد صلاة العصر ، لاستلام الاغنام الخاصة بهم ، ويعطى الراعى مبلغ شهرى نظير عمله ، ففى نهاية الشهر يجمع الراعى جميع الاغنام بمكان

---

(١) ناصر عبد الله الحميصى : مرجع سابق ، ص ٥٩ .

* " الفقع " من النباتات الدرنية الهامة بمجتمعات الدراسة ، حيث يستخدم بدلا من اللحوم عند الطعام وهو يستخدم الى الآن واسعاره مرتفعة للغاية .

** هذه المجالس عبارة عن مكان محـــاط بســـور مـــن الطين اللبـــن موجـــود بســـوق القرية وتتجمـــع فيه الرجال .

عنده (حوش) ويقال : "حرج " على الأغنام أى يحتجزها حتى يدفع مبلغ من المال على كل رأس غنم وعند الدفع يستلم صاحب الاغنام " حلاله " اغنامه .

وهناك من يعطى اغنامـــه للبدو " الرعاة " لترعى معه عاما تقريبا وفى نهاية موسم الرعى يتقاسمون نتاج هذه الاغنام ، أو حسـب ما اتفـق عليه مسبقا ، أو مناصفة وذلك بعد الحول .

وكانوا يربون الإبل التى كانت تسلم للبدو ، وخاصة فى فصل الصيف لترعى معهم حتى موعد الإحتياج إليها فى فصل الشتاء ، كما كانوا يربون الأبقار والحمير التى كانت تستخدم فى عملية " دوس الزرع " أى درس القمـح ، كمـا كانـت تستخدم فـى استخراج المياه " السقى " .

كما كانت تربى بعض الطيور كالدجاج ، ولكن كانت قليلة وغير معتاد أكلها ، ولم تعرف القرية أكل الدجاج والبيض إلا حديثا ، بل كان بيض الدجاج قديما يستخدم لأغراض الشفاء من بعض الأمراض ، مثل آلام المفاصل والروماتزم ، وذلك بشربه نيئا ، ولم يعرف القصب طهى البيض سابقا .

- الصـــــيد :

كان هناك مواسم للصـيد ، ففى الخـــريف كان صـــيد " القميرى " و " الغرنوج " و " الصفارة " وهى الاسماء التى كان أهل القرية يطلقونها على الطيور التى تصطاد فى هذا الموسم وهى تقريبا تشبه السمان واليمام ...

وكان هناك صيد " الجراد " وكان له أهميته الكبيرة كمصدر غذائى " حيث الموارد الشحيحة بالقرية " ، وكان يطهى بطرق متعددة وأحيانا يخلط مع التمر ، ويعتبر مصدرا للبروتين كتعويض عن نقصه فى غذاء اهل القرية ، حيث كانت اللحوم نادرا ما تؤكل بل يمر العام بأكمله فلا تؤكل اللحوم سوى مرة واحدة فى عيد الأضحى ، اما باقى العام فكانت نادرا ما تؤكل وعن طريق " الشراكة " أى اشتراك عدد كبير فى ذبيحة واحدة " شاة " فيكون نصيب العائلة قليلا للغاية اى فى حدود " كيلو واحد " تقريبا وتسمى هذه الطريقة (خشره) وتكون فى السر .

طريقة صيد الجراد ، عندما يشعر أهل القرية بقدوم الجراد او يسمعون عنه يخرج إليه صائدو الجراد ويسمون " الجرّادة " بتشديد الراء ، كما يسبق بعض الأفراد لمراقبة الجراد وتحديد وجهته وتسمى هذه العملية " ريادة " ومهمتهم معرفة اتجاه الجراد ومحاولة إبعاده عن النزول فى أرض ذات اشجار أو يصعب فيها صيد الجراد ، أى أرض مستوية ، وبعد ذلك يترك الجراد حتى قرب الصباح وفى فترة البرودة من الليل بحيث يصعب على الجراد الطيران فى البرد . فيعبأ بعد ذلك فى أكياس أو فى جلاليبهم بعد ربط فتحة الرقبة والاكمام ، وتحويلها الى كيس كبير .

والجراد انواع ، نوع صغير يسمى " دبا " ولا يستحب أكله إلا للضرورة وذكر الجراد نحيف ويسمى " زغير " وأما " المكن " فهو كبير الحجم .

• التجارة :

هناك نوعان من التجارة بالقصب ، أولا البيع والشراء لأهل القرية بعضهم مع بعض ، والتجارة مع المجتمع الخارجى ، وبالقصب مكان كبير لبيع الاغنام و " حراج " عام ويسمى هذا المكان سوق " العبيدى " * ، وكان البدو يعرضون فيه ماشيتهم من اغنام وإبل ، وصوف وإقط ، وسمن ، ويشترون من أهل القصب ما هو متوفر عندهم من تمر وقمح وخلافه .

وكانت تجارة القمح " العيش " أشهر تجارة بالقصب ثم تجارة الملح وتسويقه .

تجارة الملح :

كانت وما زالت تجارة الملح بالقصب لها اهمية خاصة ** ، فالقصب تصدر الملح للمنطقة كلها ، وتقوم فئة كبيرة بإنتاجه ، وتصدره ، كما تقوم فئة أخرى بالتجارة فيه ، فيقومون بنقل الملح على ظهر " الجمال " إلى باقى المنطقة ويسمون " بالجمالة " ثم يعودون إلى القصب ومعهم البضائع التى تحتاج اليها أهل القرية .

---

* سوق " العبيدى " لا يزال قائما حتى الآن ويكثر البيع والشراء به يوم الجمعة ، حيث يجتمع فيه الناس من جميع أنحاء المنطقة حاضرة وبادية وكان مكانه فى وسط البلدة ، وتوجد بقايا تقسيماته حتى الآن .

** يتجمع الملح فى منخفض جنوب القصب ، وهى مصب مياه السيول ، حيث يتجمع الملح فى هذه المنطقة وتسمى صبخة القصب ، والمنطقة التى يخرج منها الملح تسمى " جفارة " .

• المهن والحرف :

لقد عمل أهل القصب فى حرف كثيرة برغم أن هناك بعض الحرف التى كان أهل القرية يأنفون من العمل بها ، ولذلك كانت تعمل بهذه الحرف فئات إجتماعية معينة ، ومن هذه الحرف " القصاب " ، والحداد . والحلاق . والحجامة ، والختان ، فالاطار الثقافى العام لمنطقة نجد مرتبط بثقافة البدو ، فالمنطقة بادية ، ورغم استقرار بعض من هؤلاء البدو فى هذه القرى ، ومن تاريخ قديم ، إلا أنه ما زالت الثقافة البدوية تحدد اتجاهات المنطقة كلها وتوجه سلوكهم ، وعلى ذلك فان نظرتهم للمهن وتقييمهم لها ما زال مرتبطا بالإطار الثقافى البدوى ، وهذا ما لاحظته الباحثة على المجتمعات المدروسة كلها برغم تفاوت التاريخ الذى استقر فيه كل مجتمع من مجتمعات الدراسة بين القدم والحداثة * .

ومن أمثلة المهن التى يعمل بها أهل البلد :

– العمالة الزراعية : ويسمى " عاملا " فقد عمل بعض من أهالى القصب فى أعمال حفر الآبار ، كما عمل البعض على السوانى لإخراج الماء من الآبار ، ويطلق عليه (راع البئر) وله نصيب من القمح " العيش " أو إنتاج الأرض عموما ، كما كان هناك (الصبى) وهو الذى يسوق السوانى نظير " قروش " فإذا كان صاحب الأرض ليس لديه أولاد ، فإنه يأتى بهذا (الصبى) لمساعدته فى الزراعة ، وليسوق السوانى ، وهناك مهنة تسمى " الرايس " ** وهو الذى يسق الزرع ، ويباشر السقاية نظير قروش يومية ، وهناك مهنة " الحصّاد " لمساعدة صاحب الزرع فى موسم الحصاد نظير أجر يومى ، إلا أن أهل القصب يؤكدون أن هذه المهن ليست بالعدد الكبير بالقرية ، فغالبا ما يكون العمل بالمزرعة عائليا يشترك فيه جميع أفراد الاسرة وأحيانا يساعد صاحب الزرع من الجيران دون أجر سوى إطعام هؤلاء المتعاونين ، وترد المساعدة عندما يكون الجيرة فى نفس الظروف ، ولكن برغم ذلك فهناك مهن أخرى بجانب المهن التى سبق ذكرها ومنها :

---

* أما المهن المرتبطة بالزراعة والبناء فالكل يعمل بها بالقصب أما حرفة النجارة فبرغم أن البدو يأنفون من العمل بها إلا أنها من المهن التى يعمل بها من يتقنها من أهل القصب مثلهم مثل أى قرية من قرى نجد .

** مهنة " الصبى " أو سائق السوانى ، ومهنة " الرايس " أو مفجر الماء من المهن الشاقة حيث يعملون طوال الليل وحتى صلاة الفجر ، وبعد أن يؤدوا الصلاة يعودون للعمل مرة اخرى قد يصل عملهم إلى صلاة العشاء ، ويزداد عملهم صعوبة فى فصل الشتاء حيث البرودة الشديدة ، وخاصة فى الليل ، والوقوف فى الماء بملابس بسيطة .

– البنـــاءون : يعمل بعض أهالى القصب فى مهنة البناء ، فهناك من يحملون " اللبن " ويخلطون الطين والتبن ، ويسمى المتخصص فى هذا العمل " لستاد " أى الأستاذ ، وعليه تصميم العمل ، والقياس ، والإتقان كى لا يتهدم المبنى أو الجدران ، أو كما يقال " كى لا يطيح الجدار " أما باقى الاعمال من عجن للطين ومناولة ففى الغالب يقوم اصحاب المنزل وجيرانهم بهذا العمل كمساعدين (للأستاذ) ، وإذا دخل عمال لمساعدته ، فإن أجرهم يكون أقل من أجره .

– العمل فى إنتاج الملح : يقوم بعض الأهالى بأعمال الحفر وتجميع الملح وتكويمه على هيئة أكوام ثم تعبئته فى أكياس وتحميله على الدواب ، ثم تتولى فئة الاتجار فيه وتصديره إلى البلاد المجاورة على الجمال ، ويسمى من يحمل بضاعة على الجمل لتسويقها ولشراء البضائع عند عودته (الجمال) .

– النجارون : * ، ومن أهل القصب من عمل فى النجارة كصناعة الأبواب ، والأقفال الخشبية والشبابيك ، وبعض الأدوات المنزلية ، والصناديق للنساء لحفظ ملابسهن ، وتقوم على حشب " الإثل " غالبا ، حيث انه متوفر بكثرة ، وجنوع النخيل ، وأحيانا كانوا يسافرون لمزاولة نفس المهنة فى بلاد قريبة أو فى الرياض .

وهناك حرف أخرى فى القصب مثل عمل " المنحاز " ويستخدم لدق الحبوب مثل " الدقس " و " القراوة " وهو عبارة عن حوض كبير للماء ويصنعونه من الحجارة " الحصى " ، وهو أساسى فى كل بيت .

كما يعمل بعض الأهالى فى صـــناعة الأدوات من ســـعف النخـــيل ، مثل " الزبيل " و" الطباقة " وهى كالغطاء وهـــــــستديرة ، و " المحفرة " وهى أقـــل فى الحجم من القفة ، و"الوقر " وهو ما ينقل فيه التراب والسماد على الحمير ، و " القفة " ويضعون فيها الطعام كالتمر والجراد ، و " الحصر " و " سفر الاكل " ، والسفرة عبارة عن دائرة مستديرة من الخوص قطرها حوالى نصف متر تقريبا ، و " المهفة " وهى المروحة اليدوية ... الخ .

---

* مهنة النجارة من المهن المطلوبة فى البيئة الزراعية ، حيث يحتاج الفلاح إلى تركيب المعدات الخاصة بالبئر بشكل جيد وسليم ، وإلا وقعت هذه المعدات كلها داخل البئر ، ويرى الرجال كل العذاب لإخراج هذه المعدات من داخل البئر .

وكانت هناك هجرات من جانب بعض أهالى القصب ، وخاصة الذين ليس لديهم تجارة أو زراعة ، أو لديهم زراعة ولا تكفى حاجتهم ، أو فى الفصول التى لا تتطلب تواجدهم فى تلك الفترات ، أو فى سنوات القحط والجفاف ، وكانت تلك الهجرات للبحث عن عمل ، وخصوصا فى فصل الصيف ، وكانت غالبا ما تكون لمدة ثلاثة أو أربعة أشهر ثم يعودون إلى ديارهم .

وكانت تلك الهجرات الموسمية تتجه الى مدينة " الرياض " * ، والقصيم ، وذلك للعمل ببعض الأعمال اليدوية " كالحمالة " ، أو " البناء " ... الخ ، أو إلى " الكويت " للعمل بالغوص ، كما كانت هناك هجرات للعمل بالزراعة بمنطقة القصيم وسدير مدة ثلاثة أو أربعة أشهر .

• أعمال خاصة بالنساء :-

الحياكـــة : برغم أن أهالى القصب يقومون بخياطة ملابسهم بأيديهم عادة إلا أن فى بعض الظروف الخاصة مثل التطريز الذى يتطلب مهارة خاصة ولمناسبات معينة ، يلجأ أهل القصب " للخياطة "وهى غالبا ما تكون إمرأة داخل القرية ، كما أن هناك "الدلالة " التى تقوم بشراء القماش ولوازم السيدات ، وتشتريها منها النساء فقط وكان عدد الدلالات محدودا لا يتجاوز ثلاثا أو أربع فقط . كما تقوم بعض النساء بعمل " الكليجا " ** وبيعها .

هذه المهن السابق ذكرها كان يعمل بها أهل القصب ولا عيب فى الاشتغال بها من أهل القبائل بالقرية . أما المهن التى يحجم عنها وتترك للفئات الأخرى مثل الخضيريين والعبيد والصلب " فهى :-

- مهنة الحدادة : ويقـــوم العلـــل بها بعمل بعض الآلات البدائية مثل " العتل " جمع " عتلة " ، وكذلك عمل " المساحى " وهى آلة من الآلات الزراعية تشبه الفأس ، وصناعة القدور النحاسية وطلائها عند تاكل طبقة القصـــدير المطلـــية بها ، ثم عمل " المحشات " وهى جمع " محشة " وتستخدم لتقطيع الحشيش ، كما كان يقوم بإعداد الأدوات الخاصة بالدفاع وحماية القرية .

---

* كانت المسافة من القصب إلي " الرياض " بعيدة وشاقة حيث يمضون فى الطريق حوالى ٣٦ ساعة أثناء سفرهم ، مع تعدد وسائل النقل حسب الاستطاعة ، والبعض منهم يمشى على الاقدام والآخر على ركوبة من جمل أو حمار ، والبعض منهم " وكما يقول الاخبارى " حتى الحذاء " النعال " لا يتوفر لديهم .

** الكليجا : عبارة عن أقراص مستديرة من عجينة القمح مع محتويات أخرى وتخبز فى " التنور " وسيأتى شرح ذلك .

– الحجامة والحلاقة : كان أهل القرية فى معظم الأحيان يقومون بالحلاقة بعضهم لبعض ، إلا أن مهنة الحلاق هناك كانت لبعض الحالات النادرة وفى المناسبات ، كما قام أهل القرية بأعمال اخرى مثل " الختان " أى تختين الأولاد .

أما الحجامة والطب الشعبى والكى فكانت أيضا من المهن الموجودة بالقصب وكانت تؤدى نظير نقود أو أشياء عينية ، ويقوم بهذه الأعمال فئة " الصلب " .

– القصابة : وكانت من المهن الموجودة بالقصب ويسمى مكان الذبح " المنحر " وعندما يتم الإتفاق على ذبح ذبيحة ، يعلم أهل القرية بذلك من قبلها حيث " يعقل " البعير قبل الذبح بيومين فى " المنحر " ، وبعد صلاة الفجر يأتى الراغب فى الشراء ويشترى ما يريده ، وكانت هناك عادة عند أهل القصب وهى إخفاء اللحم بعد شرائه ، فكان بعض المشترين يلبس " المشلح " خصيصا عند الشراء كى يخفى اللحم به ، وهذا يرجع إلى قلة الكمية التى يتم شراؤها ، وليس إلى بخل الناس ، ويباع اللحم بأسعار رخيصة نظرا للظروف الاقتصادية للقرية ، وكان أرخص ما فى الذبيحة " الكرش والرأس والأمعاء والأرجل " بالطبع ، وكان بجوار " المنحر " نخيل يؤخذ منه " الخوص " ليعلق فيه اللحم بعد الشراء كى يسهل حمله .

– دباغة الجلود : مهنة موجودة بالقصب لصنع القرب وخرازة النعال ، إلا أن معظم الاهالى كانوا يقومون بدباغة جلودهم بأيديهم ، أو بواسطة النساء .

• الاستمرار والتغير فى البناء الاقتصادى بمجتمع القصب :

بعد العرض السابق لأهم الأنشطة الاقتصادية بمجتمع القصب ، فقد تبين أن أهل القصب قد عملوا فى أنشطة إقتصادية متعددة ، بل لم يتركوا وسيلة للعيش إلا وطرقوها لسد العجز فى الاحتياجات المستمرة والبيئة الشحيحة على أهلها ، ويمكننا أن نقسم نشاطهم الاقتصادى الى قسمين : النشاط الزراعى والرعوى ، والنشاط التجارى والحرفى ، وقد أوضحنا سابقا عمل أهل القصب فى الزراعة ، والرعى ، وحرفة استخراج الملح ، والصيد بكل أنواعه ، كما كانت هناك هجرات مؤقتة لاهل القصب لخارجها للعمل فى الخدمات والنقل والتحميل ، وامتد العمل خارج المملكة مثل العمل بالغوص فى الكويت ... إلخ ، فتقاسم أهل القصب على السواء متاعب الحياة .

– وبظهور النفط والتغير فى موارد الثروة والأنشطة الاقتصادية للسكان ، تغير تبعا لذلك إعتماد أهل القصب على هذا العدد القليل من المصادر الاقتصادية ، وبدأت مجالات جديدة للعمل سواء مجالات مهنية أو إدارية أو العمل بالتجارة ، أو بالمؤسسات الحديثة التى تقوم بأعمال التجارة والبيع ، أو العمل بالوزارات المختلفة ... أو بالخدمـــات أو المرافق ، وبدأت تتلاشى الاعمال التقليدية السابق ذكرها تدريجيا ، وما تبقـــى من هذه الأعمال قام بها عمالة أجنبية مثل العمل باستخراج الملح أو الزراعة ... وأخذ أهل القصـــب الأعمال الاشرافية فيها فقط .

– كانت غالبية أهل القصب تعمل بالزراعة ، وخاصة زراعة القمح والخضروات وكانت تستهلك معظم إنتاجها داخل القرية ذاتها ، وكانت الزراعة بدائية تعتمد على الجهد العضلى للأنسان والحيوان ، ونفس الشئ بالنسبة لاستخراج الملح الذى كان يعتمد على الجهد البدنى لاهل القصب ، سواء فى عملية الاستخراج أو التحميل ، وقد تغيرت الاساليب الفنية سواء فى العمل الزراعى أو إستخراج الملح ، وتم الاستغناء عن جزء كبير من الجهد البشرى والحيوانى وحلّ محله الجهد الآلى ، هذا إلى جانب استخدام العمالة الاجنبية سواء فى العمل الزراعى أو فى استخراج الملح .

– لقد كان لعائدات البترول الأثر فى تغيير الانماط الاقتصادية بمجتمعات الدراسة ، وكان من أبرز هذه التغيرات هو تحول إقتصادهم من اقتصاد معاشى إلى اقتصاد نقدى ، وبدأوا يتخلون عن كثير من الأعمال التقليدية ، نظرا لدخولهم فى دوائر عمل ومجالات إنتاج جديدة ، وبدأت انشطة إقتصادية جديدة ، فبجانب تربية الماشية بدأوا يزرعون الفاكهة والخضروات للأسواق القريبة والبعيدة ، وبعد أن كان إنتاج الطعام للإستهلاك المباشر أصبح أهل القصب الآن يعتمدون على المواد الغذائية المستوردة ، بجانب ما ينتج محليا من مواد غذائية بأيدى أجنبية ، وهى أيدى متوفرة ورخيصة – وبخاصة العمالة الأسيوية .

– لم يعد أصحاب المهن يعملون بالمهن القديمة التقليدية بل تحولت معظم العمالة إلى الوظائف الحكومية والعمل بالتجارة ، وبذلك اختفت المهن القديمة مثل العمل بالزراعة وحل محلها العمالة الأجنبية ، أما الحرف التقليدية مثل صناعة منتجات سعف النخيل فقد حل محل هذه الأدوات ، أدوات حديثة مستوردة مصنوعة من خامات مختلفة وبخاصة من البلاستيك .

– أما مهنة انتاج الملح وهى أشهر ما فى القصب ، فقد تركها الكثيرون ولم يبق بها إلا القليل ويعتمد كلية على العمالة الأجنبية .

– لم يعرف مجتمع الدراسة أى نوع من العمالة لصناعة الملابس إلا فى النادر " واحدة فقط فى القصب كانت تعمل ملابس المناسبات ولم تكن متخصصة " ، أما الآن فقد أصبحت الاقمشة والملابس المستوردة هى الشائعة وانتشرت الأيدى الاسيوية فى صورة مشاغل لحياكة هذه الملابس ، ودخل أثاث البيت الفاخر المستورد والأدوات المنزلية الحديثة ، وأصبحت الأدوات القديمة تقتنى كتحف فنية فى المنازل مثل الأدوات المنتجة من سعف النخيل بسبب توفر النخيل مثل " السفر " و " الزبيل " و " المهفة " و " المنفاخ " ... ، والأدوات الجلدية التى ينتجها البدو مثل " المغبة ، العيبة ، الصميل " * .

– مجتمع الحائر :

بعد أن تم عرض الأنشطة الأقتصادية لمجتمع القصب كمجتمع بدوى ، تحضر وعرف الزراعة والاستقرار منذ سنوات طويلة ، ننتقل إلى مجتمع آخر هو مجتمع الحائر ، وهم بدو نصف رحل أى يستقرون فترة الصيف بمجتمع الحائر ، ويرحلون للرعى طوال فصول السنة الباقية تاركين أراضيهم الزراعية بالحائر ليعمل بها فئات معينة من مجتمع الحائر ، وهم من ارتضوا العمل بالزراعة ، ويكون المحصول فى النهاية عند حصاده مشاركة بين قبائل البدو وهذه الفئة العاملة بالارض ، ويجدر بنا الإشارة إلى أنه عند الحديث عن بعض الأنشطة السكانية الخاصة ببدو الحائر نجد أنها مشتركة مع نفس الأنشطة ببدو الغطغط مما دفع الباحثة إلى أن تشير الى النشاط المشترك تحت اسم المجتمعين .

• نمط الملكية لدى بدو الحائر :

عرف مجتمع الحائر ، الملكيـــة العامة ، أى الملكية الجماعية ، والملكية الخاصة ، أو الفردية ، فبادية الحائر عرفت النوعين من الملكية ، حيث الأرض التى ترعى فيها الوحدات القرابية ، وهذه الأرض معروفة ولها حدودها ، – وفى بعض سنوات الجفاف يمكن أن يستسمح قبائل أخرى للرعى فى أراضيها ، فيكون لهم حق الأنتفاع فقط والمؤقت فى هذه الأراضى ، والمحافظة على الأرض تعنى المحافظة على حياة الناس ، فهى مصدر الغذاء الوحيد ، وكانت الغزوات بين القبائل دائما على ملكية الأرض ، فإما طمعا فى مزيد من أجزاء أرض أكثر خصوبة ، أو دفاعا عن أرضهم ، ويشترك فى الملكية العامة للقبيلة أقسام ووحدات القبيلة ، وتسمى بديرة " سبيع " وهذه الديرة تقع فيها المراعى ومصادر المياه ، وليس لهم حق بيع أجزاء

---

* هذه الادوات سيأتى توضيحها فيما بعد .

منها ، ولكن يمكن إعطاء حق المنفعة بأجزاء منها للآخرين ، دون الرجوع إلى شيخ القبيلة ، وكبار القوم أى مجلس الشيوخ ، وهذا نادرا ما يحدث برغم أنه جائز ، وترجع إلى شخصية المضيف ، كما عرف مجتمع الحائر الملكية الخاصة وهى ملكية الحيوان " الحلال " ، أو الأرض الزراعية ، فالحائر " كما سبقت الاشارة " بادية وحضر وهم شبه رحل ، وإن كان الطابع العام والأغلبية هى البادية ، حيث أن الحضر كانت مقتصرة على عائلتين فقط .

وعلى الرغم من هجرة وترحال بدو الحائر معظم فصول السنة ، ما عدا فصل الصيف " – حيث الحرارة الشديدة فيهربون بحيواناتهم من الحرارة قرب المياه بجوار الآبار بالحائر " – ألا أنهم لهم بيوتهم بالحائر ، وإن كانت مبنية بطريقة بدائية جدا وغير مكتملة فى بعض الإحيان، وكما اطلقت عليها إحدى الإخباريات لفـظ " خراب " ، وفـى الغالب كانـت تسمى (الحوى) ، بدلا من بيت ، فالبيت عندهم يعنى " البيت الشعر " ، ثم أطلق لفظ المنزل حديثا ، وكانت ملكية البيوت ملكية خاصة لكن مجتمع الحائر لم يعرف " العقود " الملكية المكتوبة ولكن كان العرف أقوى بينهم .

• الرحيل للباديـة

ترقب نزول الامطار بالحائر إستعدادا للرحيل :–

إن حياة البادية ، تعتمد على نزول المطر ، فالماء حياتهم ، ويتوقف عليه حياة ماشيتهم ، ولذلك كانت عيون هؤلاء الناس تتجه باستمرار الى السماء ، وتفرح عندما تجد بوادر ظهور سحابة أمطار تظهر فى السماء ، ويتتبعون هذه السحابة ويرسلون " العسوس " أو " الرواد " ليأتوا لهم بمكان نزول مياهها ، وكان أكثر شئ يخيف البدوى هو الجفاف وتأخر نزول الأمطار الذى يقضى على الحيوان ويهلكه ، فيهلك معه الإنسان ، فإذا كان الجفاف غير طويل الأمد لجأ البدوى إلى سد رمقه من الأسواق البعيدة أو القريبة ، ولجأ إلى الله وتضرع اليه بصلاة الاستسقاء أو كما يسميها أهل الحائر " الاستفاثة " ، ويحاولون ان يدفعوا الأولاد الصغار إلى أن يدعوا ربهم لأنهم أطهار ولم يرتكبوا ذنوبا .

الإستعداد للرحيل :

إن لبدو الحائر عادات وتقاليد بالنسبة لترحالهم وإقامتهم فهم كانوا يقضون فصل الصيف بمجتمع الحائر بالقرب من المياه ، أما باقي السنة فكانوا يرحلون للرعى والصيد ، لأن الحيوانات تكون فى أشد الحاجة للمراعى بعد نهاية فصل الصيف . وهناك تحضيرات وتجهيزات وإعداد لهذا الرحيل .

ويجهز جمل الرجل للرحيل كالآتى :

– يوضع على ظـــهر الجمل " الشداد " وهو من الخشب ويساوى السرج بالنسبة للحصان ، كما يوضع (" السياح " و " الخرج " و" القربة للمياه " ، ثم " الرسن " وهو اللجام بالنسبة للجمل للتحكم فى اتجاهاته .

أما جمل المرأة أو بعيرها فيجهز كالآتى :

– " الهودج " لحمايتها من عوامل الطبيعة من حرارة أو برودة ، وتعتنى المرأة بنسيج غطائه ، وما يعلق به من الستائر الجميلة المزخرفة ، وذلك من عمل يدها من الصوف ، بحيث يصبح متكاملا وجميل الشـــكل . وكذلك يوضـــع " العـدول " و " المعانيز " و " البرجد " و " الزولية " * ونسيج بيت الشعر **.

ويبدأ الرحيل فى الصباح الباكر بمجرد ظهور الضوء بعد أن تحمل الجمال باجزاء البيت الشعر ، وأدواته وأثاثه وماء وطعام الطريق ، ويسير الفريق على هيئة " قاطرة " ويستمر السير فى هذه المجموعات تحمى بعضها البعض ، مغادرين القرية فى طريق الصحراء والرجال يسوقون " المرحول " ، فإذا أشتد عليهم الحر تنوخ البعير ، للراحة وللمبيت فى هذا المكان الذى سبق الاتفاق عليه قبل الخروج من القرية ، وأيضا لجمع أفراد القبيلة بعضها على بعض حيث أن خطوات الحيوانات لا تكون متساوية فى الخطى ، فالبعير مثلا أسرع من الأغنام ، ولذلك فى فترة الراحة هذه يلحق الظعن بعضهم ببعض وإذا كان المكان المراد أو المقصود قريبا فان الجماعة تصل فى رحلة واحدة أو " شدة " واحدة – مسافة كل مرحلة من هذه المراحل يسمونها (مرحلة أو شدة) وإذا كان بعيدا نزلوا فى هذا المكان المحدد ، وأحيانا يبيتون هذه الليلة فى الخلاء دون" بيوت " حيث تبقى " الأدباش " *** محزمة كما هى ، محتمين فيها من البرد ، وأحيانا تنصب النساء البيوت أو بعضها للمبيت فيها للوقاية من البرد . وفى هذه الليلة يأكل اهل القبيلة وجبة سهلة التجهيز خفيفة تسمى " المبسوسة " وهى عبارة عن دقيق قمح بر أو شعير وسمن مطبوخ فى ماء ، أو تسمى " بسيمة " .

---

* سوف يتم شرح هذه الادوات فى الفصل الخاص بالثقافة المادية .

** تحاول المرأة أن تدخل فى نسيج بيت الشعر بعضا من شعر الماعز ، نظرا لقوته ومتانته بجانب مميزات أخرى مثل عدم نقل الجو الخارجى سواء كان حارا أو باردا إلى داخل البيت ، وهى تحرص على الصوف الأبيض وتزين به كفواصل بين النسيج الأسود ، وتصنع قواطع البيت بألوان زاهية ، مما يعطى شكلا جميلا للبيت .

*** الادباش : وهى الحيوانات الصغير ة .

وفى هذه الفترة تكون الماشية فى حاجة شديدة للغذاء والماء ، ولذلك تترك الماشية فى المراعى ويتبادل عليها الرعاة . ويكون هناك نوعا من التعاون خاصة بالنسبة للماء . ويستمر " الظعن " فى الرحيل فى صباح اليوم التالى وهكذا حتى ينزل فى المكان المقصود ، وهذه هى المرحلة الاخيرة ، وبمجرد وصولهم يأخذون وضعا إيكولوجيا يتفق مع الظروف المتغيرة . وكل ذلك يتم وفق قوانين وقواعد عرفية ملزمة .

وتسرع النساء بمجرد الوصول ببناء " البيت " – بيت الشعر – فى الأمكنة التى يختارها الرجال ، فتبدأ النساء بدق الأوتاد – وتسمى " وتدأو منساب " فى الأرض وهى من الخشب قديما أو جزوع الأشجار ثم أصبحت من الحديد ، ثم يربط كل وتد " بطنب " فى " الجوازل " المثبتة فى أطراف البيت ، ويتناسب عدد " الأوتاد " و " الجوازل " مع كبر البيت أو صغره – مثلث أو مربع ... إلى مسودس وهو بيت الشيخ – وعند فتحة البيت يدق ثلاثة أوتاد واحد فى الوسط وإثنان فى الجانبين ، وخلف البيت يدق ثلاثة أوتاد كما فى واجهة البيت ، وترفع جوانب البيت على اعمدة تثبت فى " الطريقة " ولابد أن تكون " الطريقة " قوية كى تعمل على اتزان البيت ويربط بها الأحبال ، وهى نسيج من الشعر يخاط فى جانبى الخيمة ، وتسمى " الحجاب " ثم " الذرى " الذى يحوط البيت ويقى من فى الداخل من الرياح ، ويتكون من حوالى اثنى عشر " فليجا " والفليج ، هو مـــن نســـيج صـــوف الغنم ، أما " القواطع " او " الفواصل " فتكون من وبر الجمل ، ويرفع وسط البيت أى " الطريقة " من الوسط بعمود يسمى (الوساط) ويكون بين " الوساط " و " الطريقة " قطعة مفتوحة من العود فى وسطها حفرة يوضع فيها رأس " الوساط " . ويرفع الجزء الخلفى من البيت " بالركيزة " ، وهو عمود قوى يعتمد عليه ثقل البيت ، ثم توضح أعمدة حسب مساحة البيت ، فإذا كان البيت صغيراً وضع إثنان إلى أن يصل فى بعض الأحيان إلى ثمانية أعمدة * .

---

* يمكن حصر أجزاء البيت فى :

١ – الفليج : وهو عبارة عن نسيج أسود ، وتخاط " الأفلاج " بعضها ببعض فتكون قماش البيت .

٢ – الطريقة : نسيج ذو خطوط ملونة ، ويوضع فى جانبى البيت ووسطه من الداخل ، فاصلة بين الفلجان والاعمدة .

٣ – الركيزة : عمود طويل يرفع به البيت من الوسط .

٤ – الوساط : عمود يوضع بين اعمدة الوسط والركيزة ، وبين الوساط والطريقة قطعة خشبية محفورة من الوسط تسمى " الكريه " .

٥ – الزوازل : وهى عمود على شكل نصف دائرة يخاط فى اطراف البيت لتشد به الاطناب ، والطنب هو الحبل الذى يشد الزوازل إلى الأوتاد ، والوتد هو الذى يشد البيت إلى الأرض من جميع الجهات .

وبعد أن تنصب النساء البيوت * ، تنطلق الى الماء لتجلب احتياج بيتها ، ومعهن بعض الرجال إذا كان مورد المياه بعيدا أو النساء والفتيات وحدهن ، وتقوم النساء بعد ذلك بجلب الحطب أو أى شئ للوقود ، وذلك للطبخ ، ثم تنزل " الأدباش " من فوق الجمال لتوضع فى مكانها داخل البيت ، وتعلق قور الماء ، وترص أوعية الطعام على جانب من البيت .

أما الرجال فينشغلون بالرعى وينطلقون بالإبل والماشية إلى المراعى ، وعند عودتهم فى المساء ، " يختلف وقت الرجوع من المرعى حسب خصوبة الأرض ، فإذا كانت خصبة رجعت الماشية مبكرا والعكس صحيح ، يبدأ الرجال دق الأوتاد لربط الماشية بجوار البيت .

مما سبق يتضح أن مجتمع الحائر كان مرتبطا إرتباطا وثيقا بمعطيات البيئة الطبيعية المحلية ، فالملامح العامة للبناء الاجتماعى يعكس صورا من التكيف أو التوافق السلبى مع النسق البيئى الذى تشكلت فى إطاره . حيث نجد أن التوافق الإيكولوجى فى ظل الموارد البيئية غير المستقرة والشحيحة قد ساعد على تعدد المناشط الاقتصادية كالرعى وزراعة النخيل التى لا تحتاج إلى رى متواصل ، وكذلك الزراعة التى تعتمد على الرى ، والحرف اليدوية وبعض المناشط التجارية كما سيتضح فيما بعد .

ومن اختلاف أساليب ممارسة تلك الأنشطة ، وصعوبة الجمع بينها نتيجة ارتباط كل منها بمتغيرات زمانية ومكانية متباينة ، فقد كان مجتمع الحائر ينقسم الى قطاعين إجتماعيين واقتصاديين أساسيين هما .. البدو والرحل . والمستقرون فى القرية وهؤلاء ينقسمون الى مزارعين وحرفيين وتجار .

وبالنسبة لبدو الحائر فإن مهنة الرعى تأتى فى مقدمة المهن وأهمها ومصدر حياتهم واقتصادياتهم ، ويعتبر رعى الإبل ** فى المقدمة ، وترجع أهميتها الى أنها تلائم ظروف البيئة الطبيعية . ويتولى الرجال رعى الإبل والأغنام وسقيها فى فصل الصيف ، وارتياد

---

* وتنصب البيوت فى الأماكن التى يحددها الرجال وفى العادة تتباعد البيوت بمسافات متساوية ، كى تسمح بحركة الماشية اثناء سيرها .

ويتحدد المكان المقصود وفقا لعدة اعتبارات مثل الأحوال الأمنية ومدى الحاجة للحصون الطبيعية . وكذلك طبيعة الأماكن التى هطلت عليها آخر امطار الموسم (الصيف) ، وأنواع النبات ، وعمق الآبار وغزارتها ونسبة الملوحة من الأمور الهامة فى تحديد المكان .

** تعتبر الإبل من أنسب الحيوانات التى يمكن إقتناؤها وتربيتها فى ظل الظروف الطبيعية التى كان يعيش فيها البدو عامة ، وبدو الحائر خاصة .

الأماكن الصحراوية للإشراف على الرعاة وتوجيههم ، وهناك مهنة التجارة البسيطه فى موسم الربيع ، حيث يقوم البدو ببيع منتجاتهم وشراء ما يحتاجون اليه أثناء ترحالهم .

ثم هناك الصيد عن طريق الكلاب " السلوقى " وهى مخصصة للصيد ، أو عن طريق الصقور .

كما يعتبر الغزو والحرب والدفاع من المهن الأساسية لدى بدو الحائر ، مثلهم مثل البدو عامة ، إذ يقوم الرجال بالزود عن الإبل و " الدبش " أى الأغنام ، الخاصة بالعشيرة ضد أى معتد أو غاز ، وذلك بالحراسة الدائمة للنزل و " الحلال " المواشى ، وكذلك الدفاع عن بيوت وممتلكات العشيرة . وعلى كبار القبيلة وشيخها يقع التخطيط للغزو والاعداد له .

• حماية ملكية القبيلة :

حماية أراضى القبيلة تقع على جميع أفرادها ، ولذلك نجد أن الشجاعة والجرأة صفة أساسية ومطلوبة فى جميع رجال القبيلة ، وتأتى مكانة الرجل ومنزلته من شجاعته وإقدامه ، ونجد أن الفتى عندما يصل الى سن معينة ويبدأ فى تدريبات على الأسلحة والقتال وعندما يصل إلى سن الخامسة عشر تقريبا يقوم بالقتال – يناطح الرجال – أى يتوقع أن يصبح كالرجال وتؤخذ صفة الشجاعة والقتال فى الاعتبار فى مواقف عدة فعند الزواج يكون المهر ايسر من الرجل الشجاع ، " فكما قال أحد الاخباريين – المهر فى هذه الحالة ليس له أى إعتبار ولا تحديد ويجوز أن يدفع له هو " قالها بسخرية " وإن دل ذلك على شئ فإنما يدل على مكانة الرجل المحارب فى القبيلة " .

• الصيـــد :

إن الظروف الطبيعية التى تعرضت لها مجتمعات الدراسة ظروف صعبة والبيئة الطبيعية كانت فى أغلب الأحيان ضنينة على أهلها ، فمجتمعات الدراسة ككل لم تترك سبيلا للغذاء إلا وطرقوه ، حتى لا يكون مصيرهم الفناء جوعا أو عطشا ، فبجوار الرعى وما تنتجه الأرض الزراعية بالحائر كانت هناك موارد إقتصادية أخرى يلجأ إليها بادية الحائر مثل الصيد والتجارة وبعض المنتجات الصناعية البدائية التى تقوم بها المرأة – كما سيأتى ذكره عند الكلام عن الأعمال التى تقوم بها المرأة البدوية بالحائر .

ويتمثل الصيد فى أنواع كثيرة ، منها صيد الحيوانات البرية مثل : الظبى ، والوعل ، والأرانب ، والوبر * . وصيد الزواحف مثل " الضب " ** ، وكان يساعد البدوى فى صيده الكلاب " السلوقى " الخاصة بالصيد . وقد شاهدت الباحثة عند إجراء الدراسة هذا النوع من الكلاب وما زال موجودا حتى الآن فى بيوتهم الحديثة . وصيد الطيور مثل الحبارى ، والقميرى ، والكروان ، والقطا *** وذلك بمساعدة صـــقور الصيد ، وصيد الحشرات مثل الجراد ، وتسويتها ، وتجفيف الفائض منها .

ومن عادات البدو عندما يعودون بالصيد ، أن يكون هناك نصيب للجيران والأقارب من الصيد ، ولا يجوز للمصطادين الاحتفاظ بالصيد لأنفسهم بمفردهم وخاصة إذا كان الصيد صيدا كبيرا كالظبى أو الوعل .

• الاسلحة المستخدمة فى القتال والصيد ،

إن أهل البادية – مجتمع حائر البادية – مغرمون بامتلاك الأسـلحة كضـرورة أساسية لسببين : أولهما للدفاع عن أرضهم ، و " حلالهم " من إبل و " دبش " من أى معتد أو مغير ، كما يحتاج إليه البدوى للصيد **** ويذكر الإخباريون من هذه الأدوات :

– الشوذل : وهى تشبه البندقة إلا أن ماسورتها واسعة وذخيرتها كبيرة وتخرج على هيئة رش ولمسافة قريبة .

– ربع الشوذل : وتشبه بندقـية الرش وهـــى مثل الشـــوذل ولكـــن بصورة مصغرة.

– الساكتون : له حبة واحدة صغير ة مثل الحمصة وله يد تفتح وتوضع فيه حبة من مادة الرصاص فى حجم الحمصة وهى للصيد .

– المقمع : نوع من أنواع البنادق له – رش – ويسـمى " درج " وهو من مادة الرصاص ***** .

---

* حيوان الوبر يجمع بين شكل الأرنب على صغير وشكل السنجاب ولكن بدون (ذنب) أو ذيل .

** الضب : سيأتى الحديث عنه بعد ذلك .

*** القطا : طائر موسمى .

**** يشترك مجتمعى الحائر والغطغط فى استخدام هذه الأدوات .

***** كل قبيلة كان لها عدد من " الصلب " تقوم بأعمال السمكرة والحدادة ، وهى تقوم بصب هذا " الدرج " من مادة الرصاص .

– القوس أو النبل : وهو عبارة عن نوع خاص من الأخشاب ومقوسة وبها وتر ، وسهم وهى من أدوات الصيد والحرب القديمة .

– الشلفة : تشبه الرمح وكان لهم مهارة فى استخدامها قديما فى الحروب ، فكان البدوى المحارب يضربه على العدو وهو فوق الخيل .

– الخنجر : مثل السكين وله شكل خاص .

– الجنبية : وهى مثل الخنجر إلا أنها معوجة .

ادوات خاصة بالحرب :- *

– الفتيل : ويستخدم للحرب ، وهو نوع من البنادق ويوضع فيه " البارود " و " الحلبى " والحلبى عبارة عن حبات صغيرة من الرصاص توضع فى قماشة ، ثم يشعل النار فيها عن طريق الفتيل من الخرق ، وكان هذا النوع من الاسلحة يفشل استخدامه إذا نزلت الامطار اثناء الغارة .

– الرمـــح : معدن له طرف ذو حدين من الأمام ويرمى على العدو .

– البلچيكى : وهى بندقية ماسورتها طويلة ورصاصتها حادة وتصيب الأهداف على مسافات طويلة ، وهى تشبه البنادق التى توزعها الحكومة على المنتسبين للحرس الوطنى فى الوقت الراهن .

– السيف : وهو معروف وله أنواع ممتازة تستورد خصيصاللحروب والغزو من قديم الزمان .

---

* وجدير بالذكر أن الباحثة قد شاهدت فى معظم البيوت التى قامت بزيارتها لجمع معلوماتها نوعيات متعددة من الأ لحة التى يتباهى بها أهل البادية – حائر وغطغط – كما شاهدت بعضا من جلود الحيوانت التى تم صيدها ، ومازالوا يقومون بالصيد الى الآن كنوع من الترفيه والتسلية ، إلا أنه كان قديما من مصادر معيشتهم ولذلك كانوا يبادرون بتعليم أبنائهم الرماية والتصويب وإصابة الهدف ، من سن مبكرة بغرض الصيد ، والقتال .

أدوات صيد خاصة بالصبية :

- الفخ أو المحبالة : ويستخدمها الأولاد لصـــيد الطيـــور ، وهى عادة عبارة عن مطاط (أستك) من الجلد " جلد حيوان " ، وعصب نخلة ويحنى كالقوس ، وعندما يأتى الجراد أو الطيور وما شاب ذلك لتأكل الحب فإنها تقع فى هذا الفخ .

- المرجام : أو " المقلاع " ويستعمله الأطفال لقنص الطيور .

• الزراعة بالحائر الحاضرة :

الزراعة بمجتمـــع الحائر من الانشطة الأقتصادية الهامة لحائر الحاضرة أولا ، ثم البادية ، فهى المهنة الاساسية لحائر الحاضرة ، ومن أهم المناشط الاقتصادية لهم ، ومصدر غذائى أساسى لحائر البادية والحاضرة .

وتنقسم أرض الحائر من حيث طريـــة ريها إلى نوعين ، فهناك الأراضى التى تزرع على مياه الامطـــار - البعول * - ، وهنـــاك الأراضى التـــى تروى بالميـــاه الجوفيـــة بطريقة " السوانى " .

ويزرع بالحائر ، القمح - البر - ، والشعير ، والذخن ، والذرة شتاءا ، والجرو والجح والبصل صيفا ، هذا بجانب التمر وهو المحصول الرئيسى بالحائر .

معرفة المياه الجوفية :

تعتبر أرض الحائر واديا - وادى الغاب - ، وعندما يريد المزارع أن يحفر بئرا يأتى برجل يسمى " الخبير " ليرشد عن مكان المياه ، ثم يبدأ فى الحفر ، وهناك عمال يختصوص بحفر الآبار يساعدهم أحيانا فى ذلك صاحب الأرض - ويتم حفر البئر بنفس الطريقة التى سبق ذكرها فى الجزء الخاص بالزراعة بمجتمع القصب - وفى بعض الأحيان كان عامل الصدفة سببا فى معرفة مكان المياه الجوفية حيث يخرج ينبوع ماء فى مكان ما، فيتم الحفر لبئر فى نفس المكان ، وفى حالة الآبار التى يتم حفرها للأراضى الزراعية يركب عليها " السوانى " ، لإستخراج المياه وتوصيلها للأراضى الزراعية .

---

* اراضى البعول - وهى أرض يقوم بتسويتها المزارعون وتترك فى انتظار الأمطار ، وبعد نزول الأمطار تبذر فيها البذور ، وتترك مرة أخرى لمياه الأمطار ، واذا كانت " الرخة " الكمية التى سقطت من الامطار فى المرة الأولى كبيرة فقد تكفى رى الأرض لمدة طويلة .

ادوات حفر البئر . .

يتم حفر البئر بالحائر بأدوات بدائيـــة ويدوية فمنها : " العتل " و " الهيب " أو " الهيم " ، و " المرزبة " وهى من الحديد ويقوم بعملها فئة " الصلب " .

وتبدأ الزراعة عندما يأتى رحيل " البراد " أى رحيل الشتاء القارس ، ودخول الدفء ، ويسمى هذا الوقت " بنجم الست " أو " بدرة الست " ، وفى هذه الفترة يخرج المزارعون بالحائر إلى الأراضى المخصصة للزراعة ، وخاصة إذا كانت الأمطار قد نزلت فى وقت مبكر مع دخول هذا الموسم " الوسمى " كما يسمى فصل الشتاء ، يبدأ الفلاحون فى تسوية الارض وحرثها "بالمحراث " إذا كانت مساحة كبيرة ، وإذا كانت مساحة صغيرة تسوى " بالمسحاه " ثم تقسم إلى " اشراب " جمع " شرب " وهى تشبه الأحواض على شكل مربعات وبينها " ساقية " أى خطوط طويلة مستطيلة كما تسمى أيضا " مشاعيب " ، وبالنسبة للارض التى تزرع على " السيول " وهى مياه الامطار وهى أراضى " البعول " – وقد أكد بعض الأخباريين على وجود السيول حتى وقت قريب بمنطقة الحائر – فهى الأرض المستوية التى يتكون فيها الطمى من السيول ، ويبقى فيها السيل لمدة طويلة وتسمى " القاع " وقد تقاسم هذه الارض معظم سكان الحائر ، وكانت المرأة تشترك مع الرجل فى عملية الحرث وخاصة إذا لم يكن هناك " صبية " أو ابناء تساعد الرجل أو عمال .

ثم يبدأ بعد ذلك فى بذر البذور " البر " أو القمح ، أو الشعير ..وكان الأهالى يتعاونون فى هذه العملية الزراعية دون أجر بل لمجرد التعاون والمساعدة ، وفى بعض الأحيان يقوم صاحب الأرض بإطعام مساعديه – كما يقول أحد الاخباريين " يصلح لهم الأكل ، ودايرة كلها عند بعضهم " ، أى أنهم يتعاونون بالتبادل مع بعضهم ، وفى بعض الأحيان تخرج بيوت الجيران الأكلات الشعبية للتعاون والمساعدة فى هذه الظروف .

---

* أما البئر التى كانت تحفر للشرب ، بالبادية فكانت تسمى " القليب " ومياهه تستخدم للشرب والماشية اما بحائر الحاضرة فهناك "الركيه " وهى عبارة عن بئر يبنى عليه جداران من الطوب النئ والطين والتبن بارتفاع متر وعرض ٧٥ سم تقريبا ثم يوصل بين الجدارين عمود من خشب " الإثل " ، ويتقاطع مع هذا العمود عمود آخر من الخشب يربط " برشا " أى حمل من ليف النخيل على شكل محور – ويثبت " الغروب " أى الكيس الجلد الذى سيمتلئ بالماء بدلا من الدلو فى احد طرفى العمود الخشبى بواسطة حبل والطرف الآخر من العمود الخشب يثبت فيه ثقل ليسهل عملية صعود " الغروب " وهو ممتلئ بالماء . وهناك بالحائر ستة آبار – ركيه – للشرب بالقرية .

هناك اختلاف فى بعض المسميات مثل – " الجابيه " تسمى فى الحائر " الأزا " وهو حوض الماء الذى يصب فيه " الغروب " .

أما النوع الثانى من الأرض وهو ما يزرع على السقى من الآبار الجوفية وكانت المساحةبالحائر من هذا النوع محدودة،ويبدأ فى سقاية الأرض بعد تقسيمها إلى " اشراب " ، و " مشاعيب " وذلك باستخدام المسحاه أو " المنساف "وذلك عن طريق تفجير المياه فى هذه " المشاعيب " وعدما ينتهى من سقاية " مشعب " يغلقه بقطعة حجر أو قطعة طين جافة ، ويفتح الماء " لمشعب " آخر وهكذا حتى تنتهى الأرض من السقاية عن طريق " السوانى " – كما سبق الذكر .

وفى حالة وجود أجراء لمساعدة صاحب الأرض يقتصر عمل المرأة على تحضير الطعام لهم وإطعام الإبل أو الثيران التى تجر السوانى ، أو المحراث .

ويتم بالحائر زراعة بعض الخضروات مثل القرع ، الكوسة ، الباذنجان ، وتزرع الطماطم على هيئة شتلات وتدفن من البرد ، ويزرع " الزت " أو البرسيم ، وذلك فى موسم الصيف كما يزرع فى نفس الموسم الذرة ، أما الفاكهة فهى نادرة فيزرع " الجح " أو البطيخ .

الحصاد :

ويسمى أحيانا " الصريم " . ويأتى فى هذا الموسم المزارعون " بالمحش " أو " المنجل " وهى آلة حادة رقيقة على هيئة هلال ولها أسنان ، وتشترك العائلة والحى جميعا فى الحصاد – رجالا ونساء واطفال – فى هذه العملية ، وفى بعض الأحيان يكون هناك بعض الأجراء يؤجرون باليوم فى هذه المملية من " القعيديين " * ، وفى العادة يتم حصاد القمح فى بداية فصل الصيف ، ويسبقه أنواع الحبوب كالدخن أو الدقس أو الشعير ، وتتم عملية الحصاد بأن تحش السنابل " بالمحش " وتترك خلف المزارع على هيئة " أكداس " أو " كدوس " ثم تجمع وتنقل إلى المكان المعد " للدرس " أو كما يسمى " الدياسة " أو " الدوس " ويسمى هذا المكان " القوع " .

الدرس :

وتأتى عملية " الدرس " فى " القوع" وهو مكان أو أرض فضاء يابسة نظيفة وترص فيها السنابل على شكل دائرة بحيث يكون القمح للداخل ثم تربط الدواب فى محور فى الوسط بحبل

* القعيدى : هو المزارع الذى لا يملك أرضا زراعية .

(رشا) وتقوم بدوس السنابل مرات عديدة بأرجلها حتى تخرج الحبوب من سنابلها ثم تقلب " المعدال " .

التذريـــــــة :

بعد أن تتخلص الحبوب من سنابلها (التبن) تأتى عملية التذرية أو التصفية ، بنفس الطريقة المتبعة فى مجتمع القصب .

إخراج الزكاة :

أو ما يسمى " الكيل " ، وهناك مكاييل تعرف " بالصاع " أو " الوزن " وهى عملية تأتى بعد تصفية الحبوب من التبن وهى تحديد كيل الحبوب لتحديد الزكاة وهى حق الله لإخراجه فى الحال ، فيرسل الأمير رجالا محددين لهذه المهمة كى يحددوا نصيب الزكاة ، فتؤخذ وتجمع عند الأمير ، لكى توزيع على المستحقين ، ثم يخرج حق ذوى القربى ... الخ وهناك اعتقاد أن الإخلال بالذكاة والصدقة وصلة الرحم تقلل البركة فى المحصول .

حماية الزرع بالحائر :

جرت العادة أن توضع حماية للمزروعات وحراسه من أى اعتداءات ، ولكن بمجتمع الحائر هناك تقليد وهو إذا وضع حائط أو سور حول المزارع أو حول النخيل فإن المزارع يعاقب من قبل الشيخ على وضعه لهذا السور ، خوفا من أن أحد الفقراء أو الضعفاء يأخذ شيئا من هذه المزارع نتيجة لظروفه وإحتياجه، فتحسب عليه سرقة .

النخيل بالحائر :

يتم غرس النخيل فى موسم الصيف ، وتسمى الحائر " وادى الغاب " من كثرة أشجارها وكثرة مياهها الجوفية ، إذ هى ملتقى لثلاثة أودية هى وادى حنيفة ووادى الحائر " المزاحمية " ووارى بعيجع .

ويقول أهل الحائر أن النخلة شجرة كريمة ، لا تجحد الجميل ، فبقدر ما يعطيها صاحبها ترده إليه مضاعفا ، وبالحائر تعد زراعة النخيل أساسا هاما لاقتصادهم حيث تم

زراعة الوادى وهى الحائر القديمة ، وكانت زراعة النخيل بالحائر تتبع خطوات أهمها ، تجهيز البئر " القليب " فى الارض المراد غرس النخيل بها ثم يجمع الفلاح فسائل النخل من أقاربه ومعارفه ، ثم يحفرحفرا بعمق معين تبعا لصلابة الارض وليونتها ليضع بها " افراخ النخيل " الفسائل وتترك مسافة بين كل نخلة تقدر بحوالى ستة أمتار ، وكلما ابتعدت النخيل بعضها عن بعض أخذت فرصتها فى الغذاء والنمو من الأرض وأعطـــت انتاجـــا أكثر * ، وتغرس فى " الصفرى " أى فى بداية الربيع . وتتراوح فترة اثمار النخلة بين ٤- ٥ سنوات بالحائر حيث ان أرضها خصبة ، وعندما يرتفع النخل يصعد رجل يسمى " الخراف " فيقوم بالعناية بالنخلة من تلقيح ، وتنظيف حوافى الجـــريد من بقايا الثمـــر كى لا يســـوس المحصول الجديد و " التشييف " أى إزالة الشوك من الجريد ، ويصعد " الخراف " بما يسمى " الكر " وهو معدمن الجلد والحبال - وقد سبق ذكره ، وفى موسم جنى التمر يصعد "الخراف " ومعه " مخرف " وهو يشبه " الزبيل " ، ولكن " المخرف " اصغرمن " الزبيل " ، ثم يجمع " العنوق " أى شماريخ التمر فى " المخرف " ويدليه بحبل لرجل آخر يكون فى الإنتظار فيفرغ " المخرف " ويشده " الخراف " بالحبل إلى فوق وهكذا ، وبعد جنى التمر يتم تنظيفه - كما سبق الإشارة - وتخزين ما يحتاجون إليه للعام والتصرف فى الباقى ، ويخزن التمر ببادية الحائر فى " العيبه " أما الحاضرة فيخزنون التمر " بالجصه " .

• التجارة بالحائر :

كانت الحائر من المجتمعات البدوية التى قطنت الصحراء وكان لها بيوت فى القرى ، فجمعوا بين وظيفتين اقتصاديتين هما : الرعى والقيام ببعض مهام الزراعة ، فزرعوا أشجار النخيل بالوادى وكانت التمور من أهم حاصلاتهم ، وهى فى الوقت نفسه من أهم وجبات طعامهم الرئيسية ، وعندما كانت تزيد كمية التمور عن حاجتهم كانوا يقومون ببيعها ، وإذا شح انتاج التمور فى ســـنوات معينة ، كانوا يسافرون للأحساء لشراء حاجتهم على مدار السنة ، وكانت تزرع بعض أشجار الفاكهة - كالبطيخ والشمام ، وبعض الاعلاف الخاصة بالمواشى بين أشجار النخيل ، وسمى بدو الحائر ببدو نصف رحل لأنهم لم يتفرغوا تماما للرعى بل أضافوا إليه عملية جنى ثمار المحصول فى أوقاته . وفى رأينا أن هذه الذبذبة كانت مقدمة ناجحة لاقتناع البدو بالتوطين والاستقرار فى مراكز زراعية عوضا عن الترحال الدائم ، وبهذا النوع من الاستقرار يحصل المجتمـــع الإنسانى على اقتصاد أكثر قوة وأكثر إستقرارا وتجاويا .

---

* يقال " مثل " على لسان النخلة " إبعد أختى عنى وخذ طلعها منى " .

وفى وسط بلدة الحائر يوجد " المسحب " أو السوق ، أو " المجلب " وبه مجموعة صغيرة من الدكاكين ، وحراج للماشية وهو عبارة عن مكان متسع فى وسط القرية ، حيث يجتمع أهل القرية ببضائعهم فتجد " راع " الذبائح ، وراع " الحطب " ، أى بائع الحطب و " راع " المواشى ، وكذلك بائع الدهن ، وبائع " الإقط " وكلهم من بدو الحائر ، ليقوموا باستبدال بضائعهم بما يحتاجون اليه من قمح ودقيق ، وذرة ، ودخن وقهوة ... الخ ، وينشط السوق فى فصل الربيع من كل عام ، حيث يعود البدو من ترحالهم ومعهم البضائع المراد بيعها ، وكان المزارعون بالحائر يبيعون الفائض من منتجاتهم الزراعية إلى " التجار " أو " الجمالين " الذين بدورهم يقومون ببيعه فى سوق القرية ، أو للمناطق المجاورة .

• الحرف بالحائر الحاضرة :

هناك بعض الحرف – كما سبقت الاشارة – يأنف منها البدوى من أن يزاولها وتعتبر من المهانة مزاولتها ، فيأبى القبلى أن يزاولها ، ومن أمثلتها :–

– العمالة الزراعية : هناك بعض العمالة الزراعية بالحاظر وهم ذوو الملكيات الزراعية الصغيرة فيعملون فى اراض زراعية بالأجر " رعاة بالأجر " . كما أن هناك فئة " القعيديين " وهم الذين لا يملكون أى ملكيات زراعية فيعملون بالأجر .

– البناءون : هناك مهنة البناء بالحائر الحاضرة – ويقوم بها بعض الأهالى ، وإن كان عددهم قليلا نظرا لبساطة البناء وبدائيته ، فغالبا ما يقوم بالبناء صاحب البيت .

– النجارون : هناك أيضا مهنة النجار لصنع بعض المنتجات الخشبية الخاصة بالبناء كالباب و " المسك " .

• عمل المرأة فى حائر الحاضرة :

لا يختلف دور المرأة فى حائر الحاضرة عن دورها فى البيئة الفلاحية بمجتمع نجد عموما ، فكانت المرأة بجوار الرجل فى جميع مراحل الزراعة منذ تسوية الأرض وحرثها وتقسيمها ، وريها ، ثم فى موسم الحصاد إلى عملية " الدوس " أو " الدياس " أى الدرس و " التذرية " ،فى النهاية تأتى مرحلة " الغربلة " وهى فصل الحبوب عن " التبن " ، أو " العلف " الذى لم تستطع الرياح حمله بعيدا أثناء عملية " التذرية " ، وكذلك تنقية الحب من الشوائب مثل كريات الطين أو الحجارة ، وتتم هذه العملية عن طريق " غربال " كبير ، ثم تخزين الحبوب

المطلوبة على مدار السنة وبيع الفائض بعد إخراج نصيب الزكاة ، والفقراء وذوى القربى ، كل هذه العمليات السابقة تشارك فيها المرأة الرجل يدا بيد .

- الغطغط :-

• مقدمة عامـــة :-

عاش مجتمع الغطغط قبل الاستقرار حياة قبلية وعشائرية تتسم بالترحال والتنقل بحثا وراء مصادر الحياة ، وعرف مجتمع الغطغط نظام الملكية والتملك وفائدتها ، فتنازعت عشائر الغطغط مع غيرها من العشائر على الاراضى الخصبة الجيدة ، وتشاحنت مع غيرها على المساقى والحدود ، وبالرغم من ظهور نظام الملكية وحيازة الأراضى ، فإن هذا التملك والحيازة كان من حق القبيلة أو العشيرة كلها ، وليس من حق الفرد أن يتملك شيئا ولا يدعى حيازة قطعة خاصة به .

ومجتمع " الغطغط " مجتمع بدوى تعيش جماعاته فى حالة ترحال مستمر طوال العام ، ولقد فكر الملك عبد العزيز فى توطين هؤلاء البدو ، وكانت فكرة انشاء الهجر حيث قامت أول " هجرة " فى نجد عام ١٣٣١ ه ، ثم انتشرت بشكل سريع ، حيث تم تشجيع البدو على هجر الترحال باساليب متعددة منها تشجيع مشايخ وأمراء القبائل والعشائر على تعليم المبادئ الدينية ، التى تحفز على التوطين ليكونوا أول المبادرين إلى الإستقرار فى هذه الهجر ، حيث أنهم يمثلون القدوة لعشائرهم البدوية ، ومنح هؤلاء المشايخ امتيازات ادارية حيث تم إعتمادهم أمراء لهذه الهجر ، ليرتبط بهم أبناء العشائر المستقرين منهم وغير المستقرين ، وقد حدث ذلك بهجرة الغطغط . فعندما دعا الملك عبد العزيز إلى الاستقرار ، استجاب " بن حميد " وعشيرته من " المقطه " واستقروا فى الغطغط ، وقد وزعت الأراضى عليهم بمعرفة أميرهم ، وعرفوا الملكية الفردية لأول مرة فى حياتهم ، وبهذا انشطرت العشائر وفقدت وحدتها بتحول السلطة المشرفة عليها إلى سلطة رسمية مستقرة .

وما أن قامت حرب " السبلة " ، حتى هجروا الغطغط مرة أخرى ، وعندما سمح لهم بالعودة ، بدأ " بن خثيلة " فى العودة وتقسيم الأرض من جديد .

• اختيار الهجر :

ولقد تم اختيار الهجر على أساس أن تقيم كل هجرة على بئر أو نبع ماء ليضمن توفير المياه لأغراض الشرب والرعى . وكذلك للحصول على المياه الجوفية عن طريق حفر الآبار ، أو

من الينابيع . وبجانب مصادر المياه كأساس طبيعى يتحكم فى اختيار مواضع الهجر ، فالطرق البرية تشكل الأساس الثانى الذى استطاع أن يحدد مواضع الهجر ، فلا يمكن ان تقام الهجر فى أماكن منعزلة حتى لو توافرت المياه فيها ، فسكان الهجر الذين تعودوا على الترحال عبر الصحراء لا يستطيعون ان يتحملوا العزلة . وعلى الرغم من أن الهجر أقيمت داخل ديار القبيلة ، إلا أن الملك عبد العزيز لم يلتزم فى توزيع السكان البدو على " الهجر " أن توطن كل قبيلة ، أو كل فخذ من قبيلة " بهجرة واحدة " بل ما حدث بالفعل فى معظم الهجر أن تشاركت بعض أفخاذ من قبائل مختلفة فى الإقامة فى هجرة واحدة ، وكان ذلك متعمدا بالفعل وله أسبابه الوجيهة ، حيث كان يراد أن تتصاهر القبائل ، وتضعف العصبية القبلية ، ويحل محلها الإحساس بالمواطنة ، وإن تشتت القوة القبلية .

ومع ذلك لم يقطع الهجر صلتهم نهائيا بالصحراء ، بحكم إرتباطهم ببقية أفراد قبائلهم الذين ظلوا فى حياة البداوة . بالاضافة إلى أن حياة الهجر الجديدة كانت تحتم عليهم البقاء على اتصال مستمر بالمراكز الحضرية القريبة منهم .

وتأتى قبيلة عتيبة فى المتبة الثانية بعد قبيلة حرب من حيث عدد الهجر التى عمرت والتابعة لكل قبيلة ، ثم يأتى بعد ذلك باقى القبائل .

ولقد تجمعت عدة عوامل ساعدت على نجاح مشروع الملك عبد العزيز وإخراجه من حيز الفكرة إلى حيز التنفيذ والعمل ومن أهم هذه العوامل :

- الحماس الدينى الموجود عند البدو البسطاء كان عاملا قويا من عوامل نجاح المشروع . فالبدو لا يهتمون بالسياسة ، وإنما لديهم إحساس عميق بالأمور الدينية .

- نجاح الملك عبد العزيز آل سعود فى إرساء فكرة بيع القبائل لجمالها التى هى رمز البداوة ، وأن تعتمد على الزراعة بدلا من الرعى ، وتكون مجتمعا زراعيا مستقرا ، بدلا من مجتمع رعوى متنقل . ويساعده فى إرساء فكرته هذه جماعته الدين يشرفون على تثقيف البدو وتعليمهم .

- كثرة عطاءات الملك عبد العزيز ومساعداته لأبناء البادية من الأموال والأرز والحبوب والشاى والبن وبعض التسهيلات اللازمة للزراعة . والواقع أن هجرهم لم تكن هجرا زراعية بالمعنى الحقيقى ، وإنما هى على شـــكل وحـــدات سكنية بناها البدو حول بئر ماء وبجانبه مسجد . وكان كل اعتماد البدو على عطايا الدولة .

– إن البدو ملوا حياة الترحال ، ولذا وجدت لديهم أسباب قيام نوع من الاستقرار الذى فضلوه على الترحال ، وقد تأثروا فى حبهم لحياة الإستقرار بعوامل سنوات الجفاف المميت فى ديارهم ، وهذا معناه القضاء على موارد رزقهم التقليدية . زد على هذا أنهم فضلوا الإستقرار لأنهم كانوا يجدون سهولة العيش فى الهجر أكثر من الصحراء .

– استطاع الملك عبد العزيز أن يقنع رؤساء القبائل بالحضور إلى الرياض والدراسة فى مسجدها الكبير للأمور الدينية على مشايخ اعدهم لهذه الغاية . ليعودوا وينشروا هذه التعاليم الدينية بين أفراد قبائلهم (*) .

– مرونة نظام الملك عبد العزيز الخاص بالتوطين ، فقد سمح لكل قبيلة كبيرة أن يبقى قسم من افرادها فى الصحراء ممن يعملون فى الرعى ، وأما الباقون فيرسلون إلى الهجر للقيام بالأعمال الزراعية . فكانت مرونة النظام وسهولته من العوامل المشجعة للبدو على قبول المشروع .

– عندما كانت تؤسس الهجر لتوطين الإخوان كان يرافق هذه العملية توزيع الأراضى المجاورة للهجرة على البدو الجدد المقيمين فى الهجر الجديدة ، وبهذا يكون البدوى قد حصل على حصة من الأراضى لم يكن ليحصل عليها لولا هذا المشروع ، وكان هذا عاملا مشجعا لقبول البدو لمشروعهم لأنه يدر عليهم الفوائد الكثيرة (١) .

• النسق الاقتصادى لبدو الفطفط :

– فى ظل المناخ الصحراوى الموسمى والاعتماد على معطيات البيئة ، فقد كانت الحياة تتبدل بصورة نمطية بحيث تتناغم سلبيا مع التقلبات الفصلية ، وحيث أن النشاط الرعوى وتربية الماشية من إبل وأغنام كانت تحقق أعلى درجة ممكنة من التوافق الايكولوجى ، فإننا نجد أن القيم العليا تتجه نحو كافة المقومات المرتبطة بهذا النشاط حيث ترتبط طرديا بدرجة الترحال ، وبعدد الجمال ، وبيوت الشعر ، واتساع المجال المكانى ، كما ترتبط بكل ما يدعم هذه المقومات كالانتماء القبلى ، والملكية القبلية ، والسلطة القبلية ، والنظام العرفى ، وكل العادات والتقاليد والسلوكيات الجماعية .

---

* عبد الله حمد الحقيل : ظاهرة توطين البادية . مجلة الدارة ، دارة الملك عبد العزيز ، العدد الثانى ، السنة الحادية عشرة ، محرم ١٤٠٦ هـ / سبتمبر ١٩٨٥ م ، ص ص ١٢٢ – ١٢٣ .

(١) عبد الله حمد الحقيل : مرجع سابق ، ص ١٢٣ .

ولقد ظل بدو الغطغط طوال حياتهم لا يعرفون من أنواع الملكية سوى الملكية الجماعية للأرض ، والملكية العائلية للحيوان أو المال أو " الحلال " كما يسمى ، وهى الملكية التى سادت بين البدو فى جميع مراحل حياتهم تقريبا ، والتى نتج عنها نوع من التضامن العشائرى ، فالقبيلة هى الوحدة الأساسية فى المجتمع ، وهناك مساواة بين الأخ وأخيه فى حدود الحقوق والواجبات التى تحددها القبيلة ، والنزاع هنا قائم من أجل الإحتفاظ بالثروة التى يتربع على قمتها الإبل .

• الرعى والترحال :

ينتظر أهل البادية الرحل ، انتهاء فصل الصيف والحر فيظلون فى حالة ترقب مستمر لظهور الغيوم ، وينتظرون اخبار البرق ، متعطشين لنزول المطر ، معتمدين على الرؤية المجردة للبرق ، بجانب الأخبار التى تأتى ممن كانوا فى أماكن بعيدة أو قريبة ، وتظل أخبار المطر هى الحديث الغالب على أهـــل البدو ، وإذا تأخر المطر عن ميعاده بالأعوام السابقة ، بدأت الدعوات ، والرجاء من الله ، داعين مستجلبين الماء بالدعاء وبصلاة الاستسقاء ، فحياتهم تعتمد كل الاعتماد على نزول المطر ، الذى يدور حوله نشاطهم الاقتصادى ، والعيون جميعها متجهة إلى كل سحابة ممطرة ، ويبدأ البحث عن موقعها وإتجاهاتها وكمية الماء التى تحملها ، ويرسلون " العسوس " إلى مكانها ليأتوا بأخبارها ، وهؤلاء " العسوس " لهم طريقتهم فى معرفة عمق الماء فى الأرض ، عن طريق الحفر فى الأرض وقياس مسافة الماء .

وعندما يبدأ هطول الأمطار ينمو العشب وتزدهر البادية ، فترحل العشائر صوب المراعى ، وتنتقل فيها من مكان لمكان وفقا لوفرة العشب ، إلى أن تبدأ الحرارة فى الإرتفاع وتنضب الموارد من مراع ومياه فيتجهون نحو الآبار ، ويسمى هذا الفصل " الوسمى " ، ويكونون على مقربة من مصادر المياه لتحميهم من لفحات الصيف القائظ فى حين يرحل الرجال إلى المدن والقرى المجاورة لبيع منتجاتهم من الإبل والأغنام والسمن والإقط والمنتجات الجلدية ، وشراء ما يحتاجونه للشتاء القادم من دقيق وتمر وبن وأرز فى السنوات القريبة .

الرحيل :

إن بدو الغطغط لهم تنقلاتهم على مدار السنة ويحكم تحركاتهم وتنقلهم وجود الماء واحتياج إبلهم ومواشيهم ، فمن أجل حلاله (الإبل والأغنام والماعز) يتنقل ويرحل ، بل من أجلها يغزو ويدافع ، فتتركز ثروة البدوى فى حجم ما يملك من إبل وماشية ، بل تدور حياته كلها حولها .

وكان بدو الغطغط رحل على مدار السنة ، وكانت أماكن الإستيطان تحدد على أساس الظروف الطبيعية وحسب فصول السنة وحاجة الماشية ... ويتحدد المكان الذى تتجه إليه القبيلة بناء على مشورة جماعية ، ورأى الشيخ وكبار القبيلة ، بناء على الأخبار التى تصلهم عن أماكن الرعى والمطر ، فعندما يسمع أن هناك " ربيع " أو " حياة " يقال نريد نرحل أو " نحيل للحياة " ، وفى العادة فان فترة الصيف ويسمى " القيظ " يقضيها بدو الغطغط قرب البئر " القليب " فيكون الاستيطان حول الآبار ، (يستخرج الماء من البئر عن طريق " دلو " * من الجلد غالبا جلد الغنم ، مربوط بحبل ويدلى الدلو فى البئر ويرفع محملا بالماء يدويا) .

وعندما يتحدد اتجاه الرحيل من مكان إلى آخر ، يبدأ التحضير والتجهيز كالاتى :

كيفية إعداد جمل الرجل وجمل المرأة عند الرحيل لدى بدو الغطغط :

يختلف إعداد الجمل للرجال عنه للمرأة ، فيعد كل منهم بحيث يتلاءم مع طبيعة الراكب واحتياجاته – رجل أو إمرأة – ويحضر كالاتى :

جمل الرجل :

يوضع على جمل الرجل ما يسمى " بالشداد " وهو عبارة عن خشب يشبه " كرسى " البحر ففيه قطع الخشب متقاطعة ، وهو يوضع على ظهر الجمل بصورة تتلاءم مع سنام الجمل ليتكئ عليه الرجل . ثم يوضع " السعل " وهو يعمل من جلد الخراف الصغيرة ، كى يكون ناعما ، ويزين ، ويوضع فيه البن " القهوة " والهيل والمسمار ، ويحمل الرجل معه ادوات الصيد – كما سبقت الاشارة لدى بدو الحائر – وهى هامة لحياة البادية للدفاع وللحصول على مصدر من مصادر العيش وهو الصيد ، والبدوى يعتز بها ، ويفتخر بإقتناء الأنواع الجيدة منها .

جمل المرأة :

أما جمل المرأة فيكون عليه الهودج ليحمى المرأة هى وأولادها ، وكانت المرأة تعتنى عناية خاصة بنسيج غطاء هودجها ، فتزينه بألوان مختلفة وتزخرف ستائره ** ، ويجهز بالأدوات الخاصة بالبيت والمرأة مثل :

---

* يوضع بالدلو الجلد خشبتان على هيئة × كى لا يثنى الجلد وتقوم البدوية بحرق نهاية الخشبتين لتعمل بهما ثقوبا بالنار لتثبيتهم بالدلو ، فتجعل الدلو مفتوح الفوهة دائما .

** يلاحظ ان الادوات والاثاث الخفيف الحمل الذى يستخدمه البدوى فى ترحاله من الخامات المتوفرة له من منتجات ماشيتهم ، فهى اما من صوف أو وبر الماشيه ، أو من جلودها بعد دباغتها ، ويعتمد أهل البدو فى صناعها على أنفسهم .

– الأشياء المكونة من الجلود بعد دباغتها تدبغ الجلود بنبات الكرمع ، أو نبات الأرطه ، بعد تنشيفه ودقه وصحنه ثم يغلى فى الماء وينقع فيه جلود الماشية المراد دبغها لمدة تتراوح من خمسة الى ستة أيام ، كما يوضع على الجمل " المسامه " وهى تقابل الشداد عند الرجل ، ثم " الغبيط " لتجلس مع أولادها ، ثم تضع " الزهاب " الذى تجمع فيه أدوات البيت مثل " العيبه والعكة والكرش .. الخ " * ثم تضع " الخميل " وهو كيس كبير من صوف الغنم ويزين بألوان زاهية لتضع فيه ملابسها وأدواتها الخاصة " كشنطة السفر " ، كما يمكن أن تضع به بعض المؤن مثل الطحين ... الخ ، والمزودة وهى تشبه " الخميل " ولكنها اصغر منه ولها نفس الإستعمال تقريبا ، والدلو وهو من جلد الماعز أو ما شابه ذلك .

وبعد أن يتم التجهيز للرحيل يتجه الفريق على شكل مجموعات متقاطرة من الإبل المحملة وتسمى " المظاهير " أى يطلق عليها " مظاهير فلان " ، وإذا كانت المسافة طويلة فإنها تتم على مراحل – كما سبق شرحه فى رحيل بدو الحائر – وتسمى كل مسافة " مرحلة " .

وعند الوصول – وكما سبق الإشارة – تقوم النساء ببناء البيوت وإحضار الماء .. الخ .

ثم تؤخذ الماشية لمكان المياه حيث يكون اشتد عطشها أثناء الرحلة ، ويتبادل الرعاة الأغنام ويتعاون أفراد العائلة حيث يتطلب الرعى اليومى ثلاثة أدوار هى :

" المضحى " : وهى من الساعة السابعة صباحا إلى العاشرة تقريبا .

" والمسراح " وهى من العاشرة حتى الثالثة عصرا .

" والمعشى " وهى من العصر وحتى السابعة مساءا تقريبا أى عند نهاية الغروب ليلا ، ولذلك يتبادل اكثر من فرد ، فيقوم بكل دور راع أو راعية ، وفى أغلب الأحيان تشترك الفتيات فتأخذ دورة " المضحى " أو " المسراح " وعندما تعود الفتاة من المرعى يكون قد اشتد جوعها لطول فترة بقائها مع الماشية . فهى تذهب إلى المرعى مزودة بالماء فقط فى القربة – القربة المصنوعة من جلد الغنم – وأحيانا تأخذ معها بعض التمر الذى يؤكل فى الغالب فى بداية اليوم وتظل بدون طعام طوال اليوم ، وهى راكبة حمارا اذا كان المكان بعيدا أو سيرا على قدميها اذا كان قريبا ، وعندما تعود تطلب وجبة تسمى " لطوف " ، فتقول أريد " لطوف "

---

* سيأتى الحديث عن هذه الأدوات فيما بعد .

و " ما عندك لطوف يا أماه " واللطوف يشبه التصبيرة كما يقال فى مصر ، أى وجبة سريعة قبل الوجبة الأساسية وهى " العشاء " ، ويكون اللطوف عبارة عن " اللتيمة " مثلا وهى تشبه الجبن الأبيض وتكون من " الإقط " قبل أن يتيبس أو يجف ، وقد يكون " اللطوف " زبداً أو تمراً أو مضيراً أو إقطاً *

وبعد أن تقل المراعى القريبة يبدأ نوع جديد من الرعى يسمى " المعزاب " حيث يقل العشب فتتجمع النساء ، لتذهب بغنمها إلى مكان به عشب ، وهنا يكون الرحيل بالغنم فقط دون رحيل البيت فيظل البيت مقاما ، ويحدث ذلك فى الغالب فى نهاية الموسم ، حيث تكون الماشية ليست فى حاجة للماء بصفة يومية ، وهذا الوقت من الرعى يحتاج تجمعا وتعاونا بين جميع الأعضاء – الوحدة القرابية الواحدة – ، وفى طريقة الرعى هذه " المعزاب " تبقى الماشية لعدة أيام مع الرعاة – خاصة النساء – ثم تعود (ترد) لتشرب ثم ترجع للبر (تصدر) .

وهناك أسلوب لشرب الماشية (رى الماشية) خاصة فى وقت الحر " المقطان " ، وذلك بأن تعطى كل وحدة قرابية وقتا محددا للشرب والارتواء ، وتسمى " فرزة " وإذا كان هناك من لا يملك بئرا أى ليس له " قليب " يعطى " فرزة " أى يوما محددا يسقى فيه غنمه ويشرب وتحدد " الفرزة " للورود على " المنهل " وهذه الدورة تحددها أيضا الوحدات القرابية ، بحيث يأخذ كل فرع من فروع الوحدة القرابية الكبيرة " فرزة " أى وقتا محدد حسب ما يشبه الجدول حتى تصل التقسيمات إلى جميع المستويات القرابية حتى يصل إلى اصغر قطيع ، ثم تقسم المواشى ويسمى كل قسم من هذه القطعان " رسلا " أى القطيع الذاهب للماء ، فنجد أن هذه " الرسل " محدد لكل منها وقت محدد للذهاب للماء بنظام دقيق بحيث لا تتعارض هذه " الرسل " بعضها مع بعض .

ولكى لا تختلط الماشية مع بعض هناك الوشم " وسم " معين أى نقش لكل قبيلة على حدة فيقال " وسم عتيبه " وهو على شكل معين ، ثم داخل القبيلة الواحدة يبدأ كل بيت فى وضع " الوسم " على جزء معين من الحيوان فقد يوضع على الوجه للماشية أو الرجل أو قد تشق الاذن أو تعمل علامة بحرق النار على شكل معين .. وهكذا .

وفى وقت " المعزاب " أى الرعى فى أماكن بعيدة فى فصل " المقطان " قد تستسمح قبيلة قبيلة أخرى لظروف قحط بأرضها فيضم فى هذا الموسم أكثر من قبيلة أو يكون هناك

---

* سيأتى شرح هذه الأكلات فيما بعد .

نوع من التحالف بين أكثر من قبيلة ، فينضم مع " عتيبة المقطه " وحدات قرابية من قبائل أخرى ، وبذلك يتغير تركيب الوحدات الاجتماعية وحجمها ، وكذلك البناء الشكلى للإستيطان ، فتتجمع جميع الفخوذ ، ويطلق عليهم فى هذه الحالة " نزل " أو " المظهور" أو " العريان " أو " الفريق " ، ويرجع تقاربهم هذا إلى ضرورة حاجتهم إلى الماء حيث أن الماشية برعاتها فى مكان والبيوت متجمعة فى مكان آخر قرب الماء ، فيختلف شكل الإستيطان هنا عن شكله فى فصل " الربيع " أو " الصفرى " وفى هذا الموسم تنضم صغار الأغنام إلى الكبار ، ويكون شكل الإستيطان إما على شكل دائرة حول " القليب " البئر أو على شكل خطين متوازيين والبيوت متشابكة بجوار بعضها ، لضمان عدم الإعتداء على الماشية وعلى الماء على وجه الخصوص ، فالنزاعات كانت دائما على مصـــدر الماء ، فكما يقال فإن المرعى ممكن إرتيادها " فأرض الله واسعة " لكن الماء لا يقترب منه أحد إلا بنظام دقيق .

وعندما يدخل فصل " الخريف " وتخف الحاجة إلى الماء يتفرقون مرة أخرى وينزحون بعيدا عنه ، " وتعزب " الإبل أى تبعد بعيدا عن الماء وترحل لمسافات بعيدة عن مسافات الغنم ويسمى هذا الرحيل " المظمى " حيث تذهب الإبل للمراعى بعيدا عن الماء ، ويعرف هذا الفصل من السنة بظهور نجم يسمى " سهيل " ، وفى هذه الفترة تبدأ عملية " المديد " أى التزود ، وفيها يتزود البدو بما يحتاجون من طعام ، فيذهب فيها الرجال لجلب المؤن وتشترى من القرى القريبة أو يذهب الرجال على الجمال إلى الأماكن البعيدة مثل " الاحساء " او " الطائف " لجلب التمر ، وتستغرق الرحلة فى العادة حوالى شهرين ، وينتظر باقى القبيلة عودة هؤلاء الرجال فيقال " يتباشرون " (أى يتساءلون عن أخبار عودتهم) ويظلون يتطلعون إلى أخبار هؤلاء الرجال . وبعد أن يتزود البدو – خاصة بالتمور – ويأتى " المديد " تبدأ الفترة الحرجة فى حياة البدو حيث التطلع الى السماء وانتظار المطر ، وتبدأ احاديثهم عن المطر وعن السحب تغلب على جلساتهم الليلية ، ويبدأ فى ارسال الرجال لجلب الاخبار عن الأماكن المتوقع فيها أمطار ، وإذا تأخر المطر يبدأ كل واحد فى مراجعة نفسه وحساب أخطائه ، واستغفار ربه من أى اخطاء ارتكبوها ، ويبدأ الدعاء " الله لا غضب " ، اللهم ارحمنا " ، " اللهم أغثنا " ، " اللهم لا تأخذنا بذنوبنا " ، ويظلون يتساءلون عما ارتكبوه من المعاصى مثل " نقض العهد " أو " الظلم " أو " اليمين الكاذب " وهكذا .

ولم يكن هناك تقويم يعرف به فصول السنة أو تاريخ الشهور ، وإنما كانت هناك الظواهر الفلكية التى عن طريقها تحسب الأيام فكان هناك النجوم مثل الجدى ، وسهيل ،

والجوزاء ، والكليبين المتشابكين ، والسبع أى النجوم السبعة المتشابكة والثريا ، و " الجر " ... الخ .

وعندما يظهر نجم " الإكليل " أو الثريا يبدأ دخول فصل الشتاء ويسمى " المربعانية " والشتاء عندهم يسمى " الدهر " أى الشدة والصعوبة فى حياة البدو ، فيشتد جوع الماشية ، ويشتد البرد على البدو وعلى ماشيتهم ، فيبدأ البدو فى اللجوء إلى الأماكن التى لا زالت بها بعض المراعى مثل الجبال ليحتمون بها من البرد ولتأكل الماشية من الحشائش الجبلية المتبقية ، حيث تكون الجبال ما زالت محتفظة ببعض المراعى ، وبالطبع تحتاج إلى زيادة عدد الرعاة كى لا تتشتت الماشية فى الجبال ، ويبدأ بعد ذلك هطول الأمطار على بعض المناطق ، ومن هنا يبدأ البدو فى نظام الرعى بطريقة " المعزاب " ويتفقدون حال المطر فإذا أمطرت فى أماكن أخرى انتقل الجميع إلى المكان الجديد ، أو إذا تحسنت الظروف عاد الرعاة إلى البيوت ، فإذا لم تتحسن الأحوال فإما يظل نظام " المعزاب " مستمرا أو تلحق الجماعة " بالمعزاب " أو يرحل الجميع إلى مكان جديد هطلت فيه أمطار كثيرة وخاصة إذا كانت الأماكن القريبة قد شح مطرها ، وإذا شحت الأمطار فى جميع أراضى القبيلة فانهم يحاولون الرعى فى مناطق أخرى بعيدة عن أرضهم ولكن بعد اتفاق وإستسماح أصحاب الأرض المرتحل إليها وبعد أن يتفق على أن يرسل من يفوض عن القبيلة لمقابلة شيخ القبيلة المراد النزول فى أرضها ، وفى الغالب يكون المفوض عن القبيلة هو شيخها أو رؤساء الفخوذ أو كبار القبيلة وبعد أن ينتهى هذا المجلس من التفاوض يتم مقابلة شيخ أو كبار القبيلة المراد النزول بأرضها فإذا تمت الموافقة يتم الرحيل وقد يصل الرحيل فى هذه الحالة إلى مئات الكيلومترات ، وفى بعض الأحيان تعرضت المنطقة لجفاف عام ولذلك لجأ الجميع إلى الجبال وعاشوا حياة الكفاف وتعرضوا للتشرد والهلاك والمرض والموت ، وقد قصت قصص كثيرة عن سنوات الجفاف التى ظلت لمدد طويلة حكوا فيها عن وفاة اعداد كبيرة من البشر ، كل يحكى عن وفاة نصف اخواله أو أبناء عمومته .. وعن هلاك الماشية ، وعن الأوبئة التى تعرضوا لها فى بعض السنوات . - سنة الرحمة - سنة الوباء ... الخ .

• تربية الحيوان بالغطغط :

الرعى هى المهنة الرئيسية لبدو الغطغط ، مثلهم مثل البدو الرحل عموما ، وبدو الغطغط يرعون الإبل والأغنام والماعز ، وأهمها الإبل فهى ترتكز عليها إقتصادياتهم ، ويكون التفاضل والتمايز الاجتماعي قائما على امتلاك الإبل وعددها فهى الدعامة الأولى للبدوى بعد أولاده ،

علاوة على انها أكثر الحيوانات ملاءمة لظروف الصحراء الصعبة ، فلقد اقترن الجمل بالبدوى ، وهو ركن هام وخطير من أركان الحياة البدوية ، فلولا الجمل لامتنع على البدوى العيش فى البادية والتنقل بين أرجائها ، فللإبل دور أساسى فى حياة البدوى ، فهم فى ترحالهم المستمر طوال العام ، يقوم الجمل بدور كبير فى هذا الترحال ، فيحمل عليه البيت الشعر بأعمدته وأوتاده وأفلاجه وما فى البيت من أدوات وأمتعة و (دبش) والمؤن والماء ، كما تستطيع المرأة أن تحتمى هى وأولادها فى الهودج على ظهر جملها فيكون بمثابة بيت متنقل يحميها من الشمس صيفا والبرد شتاءا ، كما يعتمد البدوى فى غذائه على لبن النياق * ، ويصنع منه الإقط والجمل صبور على العطش – يستطيع أن يبقى حوالى خمسون يوما شتاء لا يرد الماء والجوع ويقتنع بالخشن من الطعام والعشب ، والاشواك ، ويربى بدو الغطغط أنواعا من الإبل ، منها العادى ومنها " الهجن " أو الكريم الذى تنحدر أصوله من فروع عريقة معروفة ويحاولون الحفاظ على أصل هجنهم الكريمة فلا يقربونها من غير الأصيلة .

وتمهر العروس بالغطغط بعدد من الإبل " تبعا لمكانة العروس وأهلها أو قدرة العريس " ، فقد يكون جملا واحدا أو أكثر من ذلك قد يصل إلى عشرة أو خمسة عشر من الإبل . كما أن الدية وهى ما يعوض به أهل القتيل كانت تدفع بعدد من الإبل فتحقن بها الدماء فلا تراق .

ونظرا لهذه الأهمية الشديدة للإبل فهى جزء لا يتجزأ من حياة البدوى وقت السلم والحرب ، ولذلك كان الغزو من أجل الحصول على مزيد من الإبل ** .

الخيل ببادية الغطغط :

يعتز البدوى بخيله ، ويتباهى بإقتناء الأصيل منها ، ويحافظ على نقاوة أصله ونسبه ، وأهم أنواع الخيل بالغطغط هى الحمدانية ، وربضه ، والعبيه ، وكروش ويعتبر الحصان من أشد الحيوانات صلة بالبدوى بعد الجمل ، فهو هام وخاصة فى الغزو والهجوم والدفاع ومتابعة

---

* يؤكل لحم الابل فى المناسبات كالاعياد واحتفالات الزواج ، كما ان من وبرها يصنع بعض اجزاء البيت الشعر ، وبعض الملابس والامتعة ، ومن جلودها تصنع القرب والادوات الخاصة بالبدوى بعد دبغها ، ومن بول الناقة تغسل المرأة شعرها فهى تعتقد انه يغذى شعرها ، واحيانا تغتسل المرأة بهذا البول بعد الولادة للتطهير .

** ان الجمل من اصلح الحيوانات للسير فى الرمال ، ولولا الهجن التى تقطع المسافات البعيدة لما امكن للبدوى ارتياد المنتجعات قبل الرحيل ، فكانت بادية الغطغط وكذلك الحائر ترسل زوادا يسمون " العسوس " على الهجن السريعة ليرشدوا القبيلة عن اماكن الماء والكلاء ، فيكون الاكتشاف سريعا .

أى مغير على الديرة ، ولذلك فهو يعتنى بخيله ويعتبرها من مظاهر العز ، فلا يمكن أن يتركها عطشانه أو جائعة ، وتؤكد الليدى بلنت على إرتباط إقتناء الخيل بالسلطة والسيطرة ، وإن امتلاكها – خاصة السلالات الجيدة – لا يكون الا لدى الأمراء والمشايخ (١) .

وتجدر الإشارة هنا إلى أن هناك أنشطة اقتصادية يشترك فيها مجتمعا الحائر والغطغط " كمجتمعات بدوية " وسوف تتناولها الدراسة فى صورة تحليل مشترك .

• الصيد بالحائر والغطغط :

سبق أن تحدثنا عن أهمية الصـــيد ببادية الحائر والأدوات التى كانت تستخدم فى الصيد ، وسوف نناقش الآن دور كل من الصقر والكلب السلوقى كمساعدين فى عملية الصيد ، ثم نتناول أهم الحيوانات والطيور والزواحف التى كان يتم صيدها فى مجتمعات الدراسة .

الصـــــقور :

تشتهر مجتمعات الدراسة باقتناء الصقور كبيرها وصغيرها كما تشتهر نجد عامة ، وتصاد الصقور وهى أفراخ فى أعشاشها ، أو قد يصاد وهو كبير بخدعة معينة ، بأن يختبئ الصائد خلف الصخور ويأتى بصيد حى مربوط ويطلقه ومعه شرك وعندما ينقض الصقر على فريسته يقع فى شبكة الصائد ، ويدرب بعد ذلك حتى يألف صاحبه ، ويتعود الرجوع إليه حين يطلق .

ويستطيع الصقر أن يصيد أكثر أنواع الطيور كالقطا واليمام والصفارى والحبارى ... الخ ، كذلك يصيد الأرانب بأنواعها ... بل قيل فى مجتمعات الدراسة أنه يساعد على صيد الظبا ، إذا درب على ذلك ، وعند صيد الوعول فترى الصياد يحمسه ويثيره فتجرى الكلاب السلوقى لتطارد الوعل أو الغزال ، فيطير هو فوق الغزال أو الوعل وينقض على رأسه ويضربه بمنقاره بحيث يعيقه عن الجرى فتدركه الكلاب وتصيده ، أو يخايل الصيد أمام عينيه كى لا يرى فينقض الكلب على الصيد .

---

(١) الليدى آن بلنت : رحلة الى بلاد نجد : مرجع سابق ، ص . ص ٢٧٠-٢٧٣ .

ويعتبر الصيد من الموارد الهامة فى مجتمعى الدراسة ، وتعد فئة الصلب * من أمهر الصيادين ، فهم تقريبا يعيشون على الصيد وبعض الحرف التى يأنف من مزاولتها أهل القبيلة .

ويقال إن صيد الحبارى أسهل للصقر من صيد الأرانب خصوصا فى الأراضى التى بها أعشاب ، حيث يراوغ الارنب ويختبئ فى أحيان كثيرة ، ويعتبر الصقر من أسرع الطيور . ويقال إن الصقر يمكن أن يأتى بصيد يكفى أعدادا كبيرة ، وهناك عادة فى مجتمعى الدراسة إذا صاد أحد أفراد القبيلة صيدا ، فلا بد أن يوزع على جيرانه من هذا الصيد .

الغـــــــزال :

يوجد الغزال حيث يوجد الماء ويسمى فى مجتمعات الدراسة بالظبى ، ويقضى فصلى الشتاء والربيع بالبادية ويهجرها فى فصل الصيف حيث تجف المياه إلى الأماكن التى بها مياه ، وهى تسير فى قطعان يقودها أمهرها وأخفها حركة وأحذرها وتسمى " العنود " ، – فى الوقت الحاضر تحاول حكومة المملكة الحفاظ على هذه الحيوانات بتحريم صيدها فى بعض الأماكن ، وجلب بعض السلالات وتربيتها فى البادية مع توفير الحياة لها – .

---

* يطلق عليهم فى مجتمعى الدراسة ، صلب أو نور أو خلوة ، ويعملون بصناعة " الدلال " والقدور وطلائها ، وبيوتهم بسيطة وملابسهم من الجلود ويربون الحمير ، ويعتبرون خدما لأهل القبيلة ، ومنهم عند بدو الحائر من يقوم مع القبيلة عند الغزو ، فيحارب " يهاوش " معهم .

الوعـــــل :

هو من الحيوانات الهامة لمجتمعى الدراسة حيث يتم صيده وأكله فى هذه البيئة الشحيحة بمواردها ، وهو يشبه الغزال إلا أن حجمه أكبر منه وله لحية تشبه لحية التيس " ذكر الماعز " ، ويصطاده البدوى هو والغزال بالكلاب السلوقى والصقور – كما سبق الشرح – وإذا لجأ الوعل إلى الجبل فيطارده الصياد حتى يسهل صيده .

الزواحف ببادية الحائر والغطغط * :

الضـــــب : وهو يشبه التمساح الصغير ، ويعيش فى جحور يحفرها فى الأرض فى البر حيث يختبئ فى فصل الشتاء ، وطوله حوالى نصف متر وله ذنب طويل ، وجلده قوى وسميك مبرقش من الظهر ويميل بطنه إلى اللون الأبيض المصفر ، وإذا رأوه تبعوه حتى لو إختبأ يمدون أيديهم ويجذبوه من ذنبه ويحترس الصائد من أسنانه لأن عضته قاسية للغاية . وكان مجتمعا أهل الحائر والغطغط عامة حريصين على صيد الضب وأكل لحمه بعد ذبحه وسلخه ** مسلوقا ويستخدم جلده كوعاء صغير للبن الناقة ... الخ .

الجـــــراد : إن مجتمعات الدراسة الثلاثة تعرف الجراد وتقوم على صيده وأكله ، ويعتبر الجراد بلاء ورزقا ، فهو إذا حل بأرض أتى على كل أخضر فيها فيشارك ماشية البدو فى مراعيها ، ولكنه فى الوقت نفسه غذاء للبدو والقرى أيضا ، وهم يسلقونه فى الماء المغلى مع الملح ، ويصاد فى الصباح الباكر وهو عاجز عن الحركة " كما سبقت الإشارة عن طريقة صيده بمجتمع القصب " ويؤكل منه طازجا ويجفف المتبقى بالملح ويخزن كما تخزن الحبوب .

• منتجات الالبان لدى بدو الحائر والغطغط :

تربط صغار الخراف ليلا أو تعزل عن أمهاتها ، وفى الصباح ترسل الأمهات إلى المرعى ، وبعد ذلك تطلق " الصغار " مع رعاة آخرين وغالبا تكون مع الأطفال ثم تعود قبل أمهاتها ، وعند عودة الأمهات يحلب حليبها بمجرد وصولها من المرعى ، ثم تطلق لأولادها ،

---

* تعرف مجتمعات الدراسة زواحف كثيرة ، فمنها الأفاعى ، كما تعرف العقارب ويعرفون علاجا للدغ هذه الحشرات والزواحف ، سنشير إلى أنواع علاجها فى الجزء الخاص بالطب الشعبى .

** كان اهل الغطغط اذا ولدت امرأة ولم ينزل لها لبن فيأخذون جلد الضب وينظفونه ويدبغونه ويربطون اماكن اليدين والارجل ويتركون مكان الرأس مفتوحا فتحة صغيرة ويعبأ بحليب عنز أو ما شابه ذلك ، ويرضع المولود من الفتحة التى بجلد الضب فيكون بدلا من " البزازة " الرضاعة .

فترضع ما تبقى من البان لدى الأمهات ، وهذا الحليب يوضع فى " المغبة " مع قليل من لبن قديم حتى " يروب : اللبن ، وفى صباح اليوم الثانى تنقل المرأة اللبن من " المغبة " بعد أن راب اللبن وأصبح طعمه حامضا إلى " الصميل " ، " وتركضه " أى تهزه إما على حجرها يمينا ويسارا أو تعلق فى أعواد من الخشب وتركضه إلى الأمام والخلف أى " تخضه " حتى تسمع صوتا معينا تعرف منه أن الزبد قد فصلت عن اللبن ويمكن جمعها ، فتجمع الزبد حيث يكون طافيا فوق اللبن . ويطلق لفـــظ حليب علـــى اللبـــن عند حلبه ، ولا يطلق لفظ لبن إلا على المنترع زبدته .

وتستغل المرأة هذا اللبن المنزوع زبدته فى عمل " الإقط " ، وذلك برفعها هذا اللبن على النار حتى يطهى فيصبح كالجبن ، فيؤكل طريا ويسمى " اللتيمة " أو يجفف حتى يصبح كالحجر الأبيض فيؤكل مع الطعام أو ينقع فى الماء ويشرب مع التمر أو يضاف اليه التمر أو الدبس أى عسل التمر ، وهو مستحب فى تناوله اثناء فطور رمضان ويسمى " المريس " ، أما " السمن " – وتسمى " السمن البرى " على خلاف دهن الحيوان فيسمى " ودك " – فيستخلص من الزبد بعد تجميع كمية الزبد اللازمة بعد أسبوع أو اكثر وفى هذه الحالة تحفظ الزبد فى " الكرشة " لحين طهيها وذلك بوضعها فى قدورمناسبة ويوضع على نار هادئة وإذا بدأ فى الغليان يمكن ان تضاف اليه كمية قليلة من دقيق القمح " الطحين " أو الشعير " الجريش " ليتم ترسيب العالق بالزبد من شوائب ، حتى ترتفع السمن صافية صفراء اللون ضاربة إلى الخضرة ، فتصبها فى " العكة " * ، أما الطحين المتبقى فيؤكل مع التمر أو البر ، ويكون طعمه مائلا إلى الحموضة ، لأنه تشرب بقايا اللبن ، ويصبح وجبة جاهزة للغذاء أو العشاء .

• التجارة بالحاثر والقطف :

ولقد عرف مجتمعا البحث التجارة ، وعمل بها بعض الرجال ، بغرض سد العجز فى وسائل العيش ، وجلب السلع غير المتوفرة بالبادية والضرورية للحياة مثل التمر ، والقمح ، والقهوة ، وبعض الملابس والحلى الفضة والأدوات المنزلية المعدنية كالدلال والقدور أو الخشبية كالشداد والقدور الخشبية مثل " موقعة " أو " الحكرة " وهما قدران من الخشب ويزيد " للحكرة " حلقتان مستديرتان من الجنب – وكانت تمارس هذه المهنة عن طريق السفر على الجمال – قوافل الجمال – وكانت تحتاج إلى رجال أشداء يتميزون بالشجاعة حيث يتعرضون فى

* وعاء السمن المصنوع من الجلد المدبوغ والمدهون من الداخل بالتمر المطبوخ أو الدبس حتى لا يتسرب منه السمن وينضح من داخله .

رحلاتهم للسلب أو النهب من قطاع الطرق ولابد من صدهم وحتى يتحملوا مشاق السفر الذى كان يستغرق اكثر من ٦٠ يوما فى الرحلة .

وكانت تحمل الجمال من المنتجات الآتية : المنتجات الجلدية مثل الأدوات المنزلية ، ومن منتجات الألبان مثل الإقط والودك أى دهن الحيوان ، والسمن البسرى ... الخ ، والأصواف والوبر ومنتجاتها ، وكذلك الإبل والأغنام والماعز المراد بيعها .

ويأتى هؤلاء الرجال وقد حملوا جمالهم بما يحتاجون إليه من تمر وقمح وخلافه ، وأغلب هذه الرحلات كانت " للإحساء " أو للطائف .

• المهن والحرف بالحائر والغطغط .

المهن الحرفية كالتجارة والحدادة والقصابة والحلاقة والطباخة ينظر إليها نظرة احتقار وهى مرتبطة بالضعفاء الذين لا يستطيعون القتال والغزو ، وهذه المهن تقترن فى ذهن البدوى بالافراد مجهولى النسب ، فالمهنة من المهانة ، وإن اليد التى تحمل آلة حرفية ليس لها شرف حمل السيف .

ويستقى البدوى نظرته للمهن من ثقافته السائدة ، وهى الثقافة البدوية التى نبعت من الواقع المحيط بالبدوى والبيئة الطبيعية ، فهى بيئة قاسية متذبذبة ، ليس لها أمان فيوما تجود ، ويوما تشح ، وديارة بسيطة متواضعة ، وعرضة للأعاصير والرياح وممتلكاته عرضة لهجوم بنى الإنسان والحيوان فى أى وقت ، كل ذلك يجعل البدوى فى حالة تحفز وحذر دائم ، فالخطر محيط به من كل صوب ، سلاحه رفيقه فى السلم والحرب ، وفى الليل والنهار ، ومن هنا كانت أفضل الأعمال فى نظره هى الأعمال التى ترمز وترتبط بالبطولة والشجاعة ورباطة الجأش والقوة ، وقوة التحمل كالرعى والصيد والغزو والزود .

• توزيع الأدوار بالحائر والغطغط .

يتم توزيع العمل ببادية المجتمعين على أساس النوع والعمر ، فتقسيم العمل محدد بدقة فهناك أعمال محددة خاصة بالرجال ، ولا يسمح للمرأة العمل بها ، وأهمها الغزو والدفاع عن القبيلة وعن أراضيها – أملاك الديرة – ، ولكل سن فى عمر الرجل أعمال مرتبطة بهذا السن ، فثقافة المجتمع وعاداته وتقاليده تحدد لكل فرد من أفراد القبيلة واجبات ترتبط بكل فترة من فترات عمره ، فعندما يكون طفلا لا تسند إليه واجبات محددة حتى يصل إلى سن العاشرة

تقريبا * ، فيبدأ فى تدريبه فى هذه المرحلة العمرية على الأعمال التى ستوكل إليه فى رجولته ، ويبدأ فى إعداده تدريجيا لتعلم المهارات المطلوبة منه فى المستقبل مثل المبارزة والقتال وركوب الخيل والإبل والرعى ... الخ ، أما الفتاة فهى تتدرب على الأعمال التى ستوكل إليها بعد ذلك فى سن أقل من سن الفتى أى من ٧ – ٨ سنوات تقريبا ، مثل الأعمال المنزلية ، وهناك أعمال خاصة بالنساء ، ولا يقوم بها الرجال وإلا تعرض للاستهجان والسخرية من أفراد العشيرة ، مثل تنظيف الدار ، وغزل الصوف .. الخ ، كما يوكل اليها أمر بناء الخيمة ، فالرجل يعين الموضع وهى تباشر العمل وتنفذه مستقلة أحيانا هى وبناتها ، ويمكن للزوج أن يساعد الزوجة إذا كانوا فى بداية حياتهما الزوجية ، وخاصة إذا احبها وتعلق بها ، فيساعدها حتى فى جمع الحطب وحمله إلى الخيمة ، وأحيانا يســـاعدها الراعى أو الأبناء الذكور ، فتدق الأوتاد ، وتربط اليها الأطناب ، وترفع الخيمة على العمد ، وتخيط الشقاق ، وتجمع الحطب ، وتجلب الماء على ظهرها إلى الخيمة ، وتصنع القرب من الجلود بعد أن تقوم بدبغها بنفسها ، وتنسج القماش للرواق ، وتخيط الملابس والأكياس للخزين ، هذا بجانب عملها من تجهيز الطعام وتربية الأطفال .

وعلاوة على ذلك فإن المرأة فى هذا المجتمع لم تقتصر واجباتها على الأعمال المنزلية ، ولكنها تشارك فى البناء الإقتصادى بالكامل ، فهى بجانب أنها تقوم بالأعمال المنزلية كطهى الطعام وعمل الملابس والتنظيف وتربية الأولاد والغزل والنسيج ، فهى تخرج للرعى ولفترات طويلة ولا يجرؤ أحد على التعرض لها ، أو المساس بها لأنها تمثل شرف القبيلة .

وهناك أعمال مشتركة بين الجنسين إلى جانب هذا التقسيم الدقيق للعمل فيمكن أن تقوم بها المرأة والرجل مثل الرعى جنبا الى جنب .

• الإستمرار والتغير فى دور المرأة فى مجتمعى الحائر والفطفط .

كانت المرأة فى مجتمعى البحث إنسانا منتجا ولها دور كبير فى حياة الأسرة فهى مشاركة بل لها دور أساسى ، فى البناء الاقتصادى ، حيث كانت تقوم بعملية الرعى وبمفردها فتخرج بالماشية إلى المراعى وقد يصل تغيبها بماشيتها ليال طويلة فى البر عندما تدعو الحاجة إلى ذلك ، كما أنها هى التى تصنع البيت بيدها منذ تجميعها للصوف والوبر والعناية به وغزله ونسجه وخياطته إلى أن يصير بيتا كبيرا ومقسما إلى حجرات أيضا . كما أنها هى التى تعد الأدوات الخاصة ببيتها فتصنعها بيدها ، فمنها الأدوات التى تستخدم من جلد الحيوانات ،

* انظر الى الجزء الخاص بالتنشئة الاجتماعية لدى البدو .

ومنها الأدوات المصـــنعة من الصـــوف مـــثل " السياح " والفرش و " خرج المطية " وغطاء " الهودج " ... الخ كما كانت تقوم بخياطة ملابس الزوج بطريقة يدوية بالخيط والإبرة ، وتجلب الحطب والعشب ، وتقوم بعمل منتجات الحليب من خض اللبن الرائب " إقط ولبن وسمن " ، وتنظيف الأوعية المخصصة لترويب اللبن وخضه ، هذا بالإضافة الى أعمالها المنزلية كأم من غسيل وطبخ وتربية الأطفال والعناية بهم وتنظيف وخياطة ملابسهم ، ومداواتهم إذا مرضوا .

أما فى الوقت الحاضر فقد تقلص دورها بشدة ليقوم بكل هذه الأعمال الآخرون حتى القيام بتربية الاطفال فقد لوحظ وجود مربيات آسياويات تقريبا فى كل بيت ، وأصبح دور المرأة محدودا للغاية وقد علقت إحدى النساء المسنات فقالت " ظهر عندنا الأمراض بعد ما كسلت المرأة وأصبحت تأكل وتنام وتجلس مما ساعد على زيادة وزنها وما تبعه من أمراض المفاصل وأمراض السمنة عامة بعد أن كان جسمها مثالا للرشاقة والقوة والخفة والنشاط وظهرت لنا أمراض لم نعرفها من قبل " ، ولا يفوتنا أن نوضح أن هناك دور قد أخذ فى الظهور بعد إنتشار التعليم – تعليم الفتيات – وحرص الجيل الجديد منهم على الإلتحاق به ، مما يبشر بظهور أدوار جديدة للمرأة فى المستقبل القريب .

الفصل الثالث

البناء السياسى لمجتمعات الدراســـــة

- تقديـــم .
- الحكم القبلى وأثر البيئة .
- السلطة فى مجتمعات الدراسة
- السلطة بمجتمع القصب
- بناء السلطة بالحائر
- بناء السلطة بالغطغط
- المسئولية والجزاء بمجتمعى الحائر والغطغط .
- الأدوار الاجتماعية للشيخ .
- الفئات الاجتماعية .
- نظام التحكيم بمجتمعات الدراسة .
- الحراســـة عند مجتمعات الدراسة .
- تتبع الأثـــر بمجتمعات البادية .

obeikandl.com

obeikandl.com

- تقديـــــم :

كانت الفتن والحروب والنهب والسلب لا تنتهى بين القبائل ، وفى كثير من الأحيان كان الصراع يحدث داخل القبيلة الواحدة بين أقسامها أو فخوذها ، إما لصراع على أرض أو لطلب الثأر ، ولقد تعود البدو أن يتحدوا كل سلطة سوى سلطة شيوخهم - أى لا ترضخ إلا لسلطة شيخ القبيلة - ولا يتقيدون بشئ سوى أعراف القبيلة وقوانينها * .

وكان نظام القبيلة وعرفها السائد بين أفرادها يعتبر حجر عثرة فى سبيل تحسين أحوالهم المعيشية ، مما يزيد من عزلتهم وبالتالى يعطل إمكانية تهيئتهم للإندماج الإجتماعى فى الجماعات المتحضرة (١) .

وللوصول إلى الفهم الصحيح للبناء السياسى بمجتمعات الدراسة لابد من فهم ومعرفة للطبيعة الجغرافية والأيكولوجية للمنطقة كما سيأتى بعد .

- ***الحكم القبلى وأثر البيئة*** :

إن منطقة نجد منطقة صحراوية ، والتربة فقيرة مكونة أساسا من رمال وهى غير صالحة للزراعة ، بإستثناء بعض بقاع قليلة منها ، والزراعة غير ممكنة إلا بمساعدة الرى من الآبار فقط ، إذ لا يوجد ماء على سطح الأرض ، وحتى الآبار فهى قليلة ، وحيث توجد الآبار بقدر كاف من الماء ظهرت القرى والمدن ، ولكنها متباعدة بعضها عن بعض ، ويفصل بينها مساحات شاسعة من الرمال .

ومادامت الظروف الطبيعية كما ذكرنا ، فكل مدينة أو قرية منفصلة عن جاراتها إلى

---

* يؤكد كل من " هورتن Horten " و " هانت Hunt " على أن العادات والعرف لها تأثيرها الشديد على السلوك الشعبى للجماعات المنعزلة ، وأن الجماعات العرقية تعمل دائما على محاربة التغيير ولا تشجع عليه ، وأن النظام الطبقى أيضا ضد التغيير ، (ومن هنا نجد أن مشايخ القبائل هم أول من عارض التغيير وحاربه ، وقد وضعت السـلطة - الملك عبـد العزيز - ذلك فى الإعتبار عند محاولة التغيير) .

- Paul B. Horton & Chester L. Hunt; Sociology, Mc GrawHill, "thed." 1972. p.p 49 - 67 .

(١) سليمان بن عبد الرحمن الحقيل : فى آفاق التربية الوطنية ، فى المملكة العربية السعودية ، دار عالم الكتب للنشر والتوزيع ، الرياض ، ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٦ ك ، مقدمة الكتاب .

درجة كبيرة ، وليس بينها أية نقطة اتصال فى شكل حقول أو حتى مراع ، فالكل منعزل ، ومن هذه الحقيقة تنبع الفردية السياسية ، وأصبحت كل مدينة دولة مستقلة .

مما سبق يتضح أيضا أن نسبة البادية بنجد كانت أعلى من نسبة الحاضره ، وكانت القبائل البدوية تتجول فى هذه الصحارى ، " فليس هناك عمليات جذب بالقرى أو بالمدن " وكانت هذه القبائل البدوية تميل للحرب ، فهم أكثر عددا من سكان المدن كما أنهم فضلوا الحياة الصعبة ، ولذلك نجدهم يسيطرون على كل الطرق المؤدية من مدينة إلى أخرى .

وحيث ان إنتاج القرى أو الحضر لا يكفى إلا قوتهم من التمر وبعض الخضروات ، وفى الغالب كان القمح أو البر لا يكفيهم أو غير مزروع فى بعض القرى ، وهم أيضا لا يستطيعون تربية الماشية ، ولذلك كانت دائما لهم إحتياجاتهم من البر ثم اللحم ، ولذلك فهم يعتمدون فى جزء من الخبز واللحم على التبادل التجارى ، وعند سـفر تجار هذه القرى أو المدن لجلب إحتياجاتهم ، كانت سلامة هذه القوافل التجارية المسافرة خارج أسوار القرية أو المدينة مرهونة بيد المسيطر على الصحراء وهم البدو ، وحيث أن هذه الرحلات التجارية ضرورية ، فعلى هذه الضرورة يقوم البناء السياسى بأكمله ، فكل مدينة تضع نفسها تحت حماية شيخ بدوى فى منطقتها وهو بالنظر إلى الإتاوة السنوية " الإخاوة " يضمن لأهل المدينة السلامة خارج أسوارها ، ممكنا لهم بذلك السفر بغير مضايقةعلى طول امتداد سلطته . ويقال إن المدينة أو القرية تتبع القبيلة الفلانية ، فنجد مثلا أن مدينة الرياض كانت تابعة لفخذ العزة من " سبيع " ، وهكذا ، ويصبح الشيخ البدوى هو السيد الحامى .

وقد يتبع ذلك على المدى البعيد ، بأن يبنى الشيخ البدوى لنفسه مقرا بالقرب من إحدى المدن أو القرى ، بعد أن يكون قد أصبح غنياً ، بفعل الأتاوة التى يجمعها ... ويعيش فى هذا المبنى خلال فصل الصيف ، ثم بالهيبة المستمدة من مركزه كبدوى – حيث يعتبر الدم البدوى هو الأنقى ، وقوته المستمدة من قبيلته فى الصحراء – يصبح الحاكم الفعلى لهذه المدينة أو القرية ، ويتحول من حام لها الى حاكم فعلى لها ، ويكرم بلقب أمير ، ويظل شيخا للبدو [1] .

ولهذا الدور السياسى الكبير الذى كانت تمارسه القبائل البدوية فى نجد سواء على حاضرتها أو باديتها ، وهو دور أضفى على القبائل الأخرى قوة سيادة بجانب ضعف القرى والبلدان النجدية ، أمام سيادة البدوى أيا كانت قبيلته ، كان لهذا الدور اثر فى تفضيل البادية

---

(١) أن بلنت : مرجع سابق ، ص . ص ٢٠٨ – ٩–٢ .

عن الحضر ، وقد حفل التاريخ النجدى منذ القرن العاشر الهجرى بوجود عدد من القبائل البدوية مرهوبة الجانب .

- السلطة فى مجتمعات الدراسة .

إن التنظيم الاجتماعى والسياسى بين القبائل مبنى على أساس مبدأ التماثل والمساواة بينهما . بحيث من الصعب على إحدى القبائل أن تفرض نفسها أو أحد رجالها لتولى السلطة على القبائل الأخرى أو على أحد القبائل ، فالنفوذ الذى يتمتع به الشيخ أو الأمير لا يتعدى حدود القبيلة أو المنطقة ، والسلطة فى مجتمعات الدراسة تكاد تكون وراثية فى بيت واحد ، وهناك علاقة احترام بين رجال القبيلة ، والسلطة الممثلة فى الشيخ أو الأمير ، وإذا حدث خلاف أو عداء بين أفراد القبيلة وبين سلطتها ففى الغالب لا يتم إختيار شيخ أو أمير من بين رجال القبيلة من خارج العائلة التى ينتسب اليها الشيخ المراد عزله أو تغييره .

والسلطة فى مجتمعات الدراسة هى الهيئة الممثلة للجماعة ، أى أن الشيخ أو الأمير يعطى حق التفويض عن جماعته ، وينوب عنها ويتحدث بإسمها فى مختلف القضايا والاجتماعات ، وهو فى ذلك يعبر عن رأى الأغلبية فهو لا يستطيع أن يقرر شيئا يتعلق بالقبيلة برغم إرادة أهلها وموافقة مجلسها ، حيث يشارك هذا المجلس الشيخ فى الرأى والأستشارات المتعلقة بالقضايا والمنازعات .

- السلطة بمجتمع القصب .

لقد عاش مجتمع القصب مثله مثل باقى المنطقة ككل ، حياة غير مستقرة ، وكان القتل والسلب أموراً واردة دائما ، والصراع والخوف هو الشعور السائد ، وكانت هناك قبائل كبيرة بنجد تشتهر بالشجاعة وقوة العدد والعدة ، والشراسة فى الحرب ، ولذلك كانت تدخل القرى والمدن ، تحت حماية قبيلة من هذه القبائل ، وهذا ما حدث بالنسبة للقصب .

وكانت النتيجة لهذا الصراع المستمر ، والخوف الدائم - (يسمى كبار السن هذه الأيام بأيام الخوف) - أن أخذوا حذرهم ، وعملوا الاحتياطات التى تحميهم من الغارات - غارات البدو - فكان أمير القرية من الوحدات الاجتماعية الكبيرة ، وكانت له سلطات واسعة باعتباره السلطة السياسية العليا ، وهو صاحب الرأى الأخير فى كل مشكلة تطرأ يعاونه أفراد ذو حكمة ورأى من كبار البلد ، كما بنوا الأسوار المتينة حول البلدة ، وأقاموا الأبراج والمراقب لتحميهم وتحذرهم من إى مباغتة .

مما سبق يتضح أن أمير القرية كان يمثل السلطة السياسية العليا في المجتمع ، وكانت سلطته مطلقة ، وكان يعاقب الخارج على العرف والقانون الخاص بالمجتمع ، وكان له حق البت في كل الأمور ، ويعود اليه الرأى الاخير .

وكان الاهالى يقدمون للأمير مساهمات مالية ، وهدايا فى المناسبات والأعياد وحصصا محددة عند جنى المحصول ، فكانت تستخدم فى الأنفاق العام مثل أكرام الضيوف أو ما يسمى " المنوخين " الذين يفدون الى المنطقة ، ويتوفر له منها الشئ الكثير ، وكانت حوالى ٣٠٠ صاع " عيش " أى قمح ، و ٣٠٠ " وزنة تمر " ، و ١٠٠ ريال " فرانسى " فضة ، وهذه مكافأة سنوية له يصرف منها على شئون الامارة ، واستمرت لجميع الأمراء .

الإمارة بالقصب :

تولى إمارة القصب عام ١٣٢٢ هـ الشيخ راشد بن محمد بن راشد ، وإستمرت إمارته حتى ما قبل سنة " السخونة " بسنة اى سنة ١٣٣٦ هـ ، وتولى من بعده ولده عثمان بن راشد ، وإستمرت إمارته حتى سنة ١٣٤٦ هـ ، ولمدة عشر سنوات ، ومن بعده تولى عبد الله بن ابراهيم السويد وقضى بها ٢٢ عاما ، ثم تولى محمد بن سعد بن محمد القاسم سنة ١٣٦٨ هـ ، وظل بالإمارة منذ هذا التاريخ الى وقت قريب .

والأمير سعد القاسم يعمل بالفلاحة وقد ورث المهنة عن آبائه ، ولا يجيد سوى هذا العمل ، وبالنسبة لتعليمه فقد قرأ القرآن ، وختمه ، ولكنه لا يجيد الكتابة ، فقد تعلم " بالقرايه " مع " المطوع " قديما ، أما القراءة فهى قليلة ويقرأ الكتابات التى تشبه كتابة المصحف .

القضاء بالقصب :

تولى القضاء فى القصب عدد من القضاة أعتبارا من سنة ١٣٨٠ هـ ، ومنهم عبد الله ابن حسين وهو أول قاض فى القصب * .

بناء السلطة بالحائر :

إن الدوشان من فصيلة العرينات من الخضران من بنى عمر من سبيع ، قدم جدهم

---

* إذا اعتدى أحد أفراد المجتمع على آخر كان يحتكم المعتدى عليه الى الأمير ، فلم يكن هناك قضاء حتى سنة ١٣٨٠ هـ ، وكانت أقرب محكمة وقضاء بمدينة شقراء على بعد ٣٠ كيلو تقريبا من القصب وكان هناك ما يسمى " بقصاص الجروح " يقدر الجرح ليدفع المعتدى ما يحدد ، وهكذا باقى الجزاءات والعقوبات .

(غالب بن موسى بن فرعان بن فارس العريني) من أطراف " الخرمة ، ورنية " ، واستقر في الوشم ١١٠٥ هـ ، وأنجب عدة أولاد ، وتناسلوا ، وتفرقوا في قرى الوشم والعارض - الحائر بالعارض - والقصيم ... وغيرها . فكان آل جفران امراء الاعزة من الصعبة في الحاير [1] .

ولقد كانت السلطة تقوم على أسس معينة ، يدخل فيها عامل الوراثة ، فتعمل الوراثة على استمرار تلك السلطة في ابناءعائلة معينة من العائلات التي تنقسم اليها الوحدة القبلية ، وإن كان عامل الوراثة يتأثر الى حد ما بعوامل أخرى مثل الثروة والسن والشهرة والشجاعة والكرم ورجاحة العقل وحسن التصرف ... الخ . وهي عوامل تتدخل في التفضيل بين شخص وأخر في نفس تلك العائلة التي تتولى مركز الزعامة والسلطة في الوحدة القبلية [1] .

اردنا أن نتتبع أمراء الاعزه من سبيع بالحائر ، نجد أنها استمرت حوالي مائة عام في عائلة آل شعيفان ، ثم تسلسلت بعد ذلك في آل جفران ، وكان على المجدع آل جفران أمير الحائر ثم قتل في معركة بينهم وبين قبيلة أخرى ، فتولى أخوه محمد بن جفران ، ثم ابنه السديري محمد بن جفران ، ثم جفران بن سعد بن جفران ثم أخوه فلاح بن سعد بن جفران وهو - الأعزة حاليا ، وعند قيام الدولة السعودية نصب من قبل الحكومة عدة أمراء ويسمى هذا " المنصوب " نسبة الى انه منصب من قبل الحكومة فتعاقب البيشي ، ثم نصب بعده [illegible] ابن بزران ، ثم سعد بن جمعان ثم ناصر الخطيفي ، ونصب بعده عبد الله بن سعيد الذي نصب الامير الحالي وهو خالد بن سعيد .

بناء السلطة بالفطغط :

بنو الفطغط هم عشيرة " المقطة " وهي فخذ كبير فيه عشائر منها :

أ - المتابعة ومنها :

- السعافين	- مسيعيد
- الحمدة	- القمزة
- العواصين	- الحواميد ومنها المهارجة من بني محمد بنو عامر وبنو تميمه
- الخمجان	وبنو تميمه وبنو جعر وبنو عباد [1] .

- ذوو " خصير " وبنو محمد يتفرع منهم الجعدان وبنو حميد والصوبيان وبنو هادى . والامارة لدى بنو الفطغط وراثية كغيرهم ، فلقد ظل بن خثيلة أميراً الى ان توفى عام ١٣٩٨ هـ وتولى الحكم من بعده ابنه ماجد .

---

(١) ، (أ) حمد بن ابراهيم بن عبد الله الحقيل : كنز الأنساب ومجمع الآداب ، مطابع النهضة ، الرياض ، ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م ، ص . ص ١٠١ - ١٠٢ .

المسئولية والجزاء بمجتمعى الحائر والغطغط :

إن النظام المراتبى فى المجتمعات البدوية يرتكز فى الأصل على مفهوم التفاضل الاجتماعى والسياسى ، والذى بموجبه تتحدد المراكز والأدوار بين الفئات المتمايزة ، فتحتل كل منها مكانة إجتماعية معينة ومحددة بحيث يفرض على كل فئة منها سلوك معين وواجبات محددة ، بالأضافة إلى تحديد العلاقات العامة بين أعضاء الفئات .

وإن صفة الجمعية كانت مسيطرة على مجتمع الحائر والغطغط كمجتمعين بدويين فى كافة شئونهم الاقتصادية والاجتماعية والسياسية ... الخ ، فالمسئولية جماعية ، فإذا حدث خطأ من فرد من أفراد القبيلة ، يقع الجزاء على العشـــيرة كلها ، وحملات الغزو والقتال جماعية ، والمغانم والأسلاب جماعية كذلك ، فهم مرتبطون بدرجة قرابة واحدة ، ومنحدرون جميعا من قبيلة واحدة ، كما أن حياتهم وظروف البيئة وجغرافيتها تفرض عليهم التعاون والأتجاه نحو أهداف مشتركة ومصالح عامة .

وإذا أرتكب فرد جريمة معينة فعلى عائلته أو وحدته القرابية أو قبيلته بالأرجح تحمل النتائج والتعويضات التى تقع عليه ، فتشارك القبيلة ككل فى بعض الاحيان ، أو تتحمل الوحدة القرابية ككل المسئولية أو قد تتحمل العائلة وحدها هذه المسئولية خاصة إذا كانت فى صورة تعويضات " الدية " * ، كما تتكفل القبيلة المجنى على احد أفرادها بأخذ الثأر والمطالبة بالحقوق للفرد المجنى عليه داخلها .

وبجانب هذا البناء القبلى نو المسئولية الجماعية توجد الفئات الأخرى من خارج القبيلة ** وبالرغم مما تقدمه القبيلة لهذه الفئات من حق التعايش والإقامة والرعاية والحماية ، إلا أن هذه الفئات خارج نطاق المسئولية والجزاء فى المجتمع القبلى ، بحيث إذا أرتكب أحد أفراد القبيلة جريمة فإن المسئولية تقع على كل أفراد القبيلة ما عدا تلك الفئات حيث لا تقع عليهم أية مسئولية .

الأدوار الأجتماعية للشيخ :

كان شيخ القبيلة يمثل الحاكم المطلق ، وهو المتصرف والمسئول عن شئون القبيلة كلها ،

---

* أن القبيلة تقوم بمشاركة القاتل فى دفع الدية إذا كان الشخص المقتول من خارج الوحدة القرابية أى من خارج القبيلة ، أما إذا كان القاتل والقتيل من نفس الوحدة القرابية أو العائلية ، خاصة مثلا إذا كان أبن العم ، فإن القاتل يدفع قيمة الدية من – حلاله – أى من ممتلكاته الخاصة .

** الفئات الأخرى هـــى التى لا تنتمى بصـــلة قرابـــة أو نســـب للقبيلة مثل فئات الخضيريين ، الصلب ، العبيد .

فالنظام المراتبى فى المجتمعات المدروسة – الحائر والغطغط – يرتكز فى الأصل على مفهوم التفاضل الاجتماعى والسياسى ، والذى بموجبه يتحدد الأختلافات فى المراكز والأدوار ، وحتى فى ممارسة النشاط الاقتصادى بين الأفراد الذين ينتمون الى فئات إجتماعية متمايزة تحتل كل منها مكانة إجتماعية معينة ومحددة ، بحيث يفرض على كل فئة منها سلوك معين وواجبات محددة ، كما تحدد طبيعة العمل الذى يجب على أفراد كل فئة القيام به ، بالاضافة الى تحديد العلاقات الهامة بين اعضاء الفئات المختلفة .

ونتيجة للحياة السياسية والاجتماعية المضطربة التى كانت تعيشها القبائل ، وفى غيبة الحكومة المركزية القوية وغياب الأمن والاستقرار والطمأنينة ، تماوكبر دور الشيخ فقد أصبح الحاكم المطلق لا ينازعه أحد فى هذا الحكم ، فهو الذى يخطط للمعارك والغزو وقيادة الحرب ثم تقسيم الغنائم * ، ويقوم بالتفاوض مع القبائل الاخرى ... كما سنوضح فيما بعد واستمر الأمر كذلك حتى تمت السيطرة لآل سعود .

وكان للشيخ دوراً اجتماعياً هاماً فى استمرار القبيلة ككيان واحد دون إنقسامات أو عداوات داخلية أو خارجية . فلشخصية الشيخ هنا الدور الأكبر فى حسم أى خلاف يحدث داخل القبيلة أو خارجها قبل أن تتطور الأمور الى أبعد من ذلك ، ومن التاريخ الأجتماعى لقبيلة سبيع " فخذ العزة " وقبيلة عتيبة " المقطة " أحداث إجتماعية كانت بدايتها مجرد نزاع وأنتهت بحروب داخلية ، أو خارجية ، اما إذا كان الشيخ ذو حكمة وله تجارب كثيرة ، فإنه يقوم بعملية الصلح وفض النزاع وحسم الأمور للصالح العام ، فخطأ الشيخ ، خطأ للعشيرة كلها ، وحسن تصرفه مطلوب فى مواقف كثيرة مرتبطة بمصير القبيلة كلها ، وبروح الجماعة ، وبناء على المصالح العامة للعشيرة أو القبيلة يحل النزاع ، ويتحاشى الضرر والنتائج السيئة التى تأتى من ترك الأطراف المتنازعة تحل مشاكلها بالاعتماد على قوتها ووسائلها الذاتية ، ولذلك يحدث التوسط بين المتحاربين .

وكان الشيخ يتدخل لفض النزاع وتحديد الدية ، ولكن فى الغالب كان أهل القتيل يرفضون الدية ويطلبون الثأر ، ولم تقبل الدية إلا فى حالة ما إذا كان المقتول قد قام بعمل مخل بالشرف ، مثل الاعتداء على شرف أو السرقة ... الخ ، من الجرائم المرذولة فى البادية ،

---

* عند تقسيم الغنائم كان الشيخ يأخذ النصيب الأكبر (الثلث تقريباً) يوضع فى الإعتبار من هذا النصيب نصيب الضيافة ، حيث يقوم الشيخ باستضافة الوافدين على القبيلة فعليه واجب الضيافة ، وإذا كان كريما تعتبر القبيلة كلها بالكرم والعكس صحيح

وعدم الإهتمام من جانب الشيخ أو من ينوب عنه فى حل هذه المنازعات أدى الى أحداث عنيفة كثيرة حدثت فى مجتمعى الدراسة ، وعلى سبيل المثال فإن هجرة أهل الحائر الى هذا المكان بعد ان كانوا فى الحجاز يعود إلى نزاع حدث داخل وحدات القبيلة ويقال إنها كانت نتيجة لعداوة بين رجلين من وحدتين مختلفتين ، وكانت العداوة ناتجة من أعتداء شخصى ، والروايات كثيرة فى هذا الموضوع ، المهم أنها أدت فى النهاية إلى حروب داخل القبيلة وانتهت بأن نزح فخذ العزة وأنحدروا وهجروا أرضهم بعد أن أخرجوا منها ، وسكنوا هذا المكان " الحائر " بعد أن هجروا أهله ، وايضاً الاحداث كثيرة عند بدو الغطغط قبل استقرارهم ، وبعد الاستقرار ولا يتسع المجال لذكرها هنا .

ولذلك كان الشيخ يتدخل فى حالات كثيرة وله دور كبير فى استقرار وسلامة القبيلة داخليا وخارجيا ، فإذا حدثت جريمة قتل على سبيل المثال ، فلابد من التدخل لفض النزاع والتحكيم بين أهل القاتل والقتيل ، والا فالنتيجة مزيد من القتلى ، والأخذ بالثأر ، مما يضعف من قوة القبيلة ويؤثر على تماسكها وتضامنها وخاصة لو كان النزاع داخليا .

وغالبا يبدأ إجراء الصلح بتحديد فترة زمنية معينة حتى يتم الحكم فى النزاع ، ويحاول المحكمون أقناع المجنى عليهم بقبول " الدية " والتنازل عن الثأر .

ومن الأمور الخاصة به أنه يعقد الاجتماعات الخاصة بالقبيلة ببيته ، وكذلك الأمور الخاصة بعلاقة القبيلة مع القبائل الأخرى ، كما أنه فى حالة وفود أحد الزوار من قبائل أخرى أو مندوبين عن القبائل الأخرى فإن بيت الشيخ هو المكان الوحيد لإستضافة هؤلاء الوافدين ، وعقد الأتفاقيات العامة ، واتفاقيات الصلح .

ومن الضرورى أن يتوفر فى الشيخ عدة أمور وصفات وخصائص أهمها القوة بشقيها المادى والمعنوى فيكون أكثر الجماعة شجاعة وعزوة وعددا وخاصة من الرجال المحاربين ومن أقوى عصبية فى القبيلة ، حتى يستطيع تنفيذ أحكامه على جميع وحدات القبيلة ، ولأن القبيلة كانت دائما فى حالة غزو أو فى حالة دفاع ، فهذه العصبة للشيخ لديها أكبر عدد من المحاربين الذين سيقومون بالحرب أو الدفاع بحماس شديد إذا كان الشيخ من عصبتهم ، ويكون ذا ملكية كبيرة من الإبل والخيل والدبش .

ونظراً لأن الشيخ هو الملجأ لأى غريب كما أن عليه استقبال نواب القبائل الأخرى كما يلجأ إليه المحتاج فى بعض الأحيان ، كان لابد من توافر صفة الكرم فى الشيخ وإلا اتهمت

القبيلة كلها بالبخل فى حالة بخل الشيخ ، كما يراعى فيه حسن القول والتحدث ، وأن يكون أكثر حكمة ، وحسن تصرف وأكثر لباقة ، وأن يكون أكثر ثقافة وتفقها بالدين .

وهذه الوظيفة للشيخ تجعله فى النهاية مصدراً للقرارات الملزمة لأعضاء الوحدة التى يرأسها ، فكان يتمتع بسلطات واسعة ، وأحكامه واجبة التنفيذ دون استئناف أمام هيئة تقليدية أخرى ، وبسلطة القسر التى يفرض عن طريقها أى قرارات يصدرها ، مستنداً فى ذلك أيضا الى قوة الرأى العام فى الجماعة القبلية ، وهو فى العادة يعد من بعده من يخلفه من أولاده أو من أقرب أقربائه ، فإذا كان أبناؤه صغاراً فمن اخوته أو أولاد عمومته ، وعند اختلاف ورثة الشيخ على المشيخة فإن أفراد القبيلة تنحاز مع الأقوى والأشجع والأكثر كرماً .

الفئات الاجتماعية :

كانت الغارات والتطاحن بين القبائل شيئًا مألوفا ، فالقبيلة دائما إما فى حالة تأهب لغزو أو فى حالة تحفز لصد هجوم ، وأخبار الغارات وحوادث القتل والثأر والخطف تغلب على معظم أحاديثهم ، ويتفاخرون بما جمعوا من غنائم ، فكانت حياتهم تعتمد على " القوة والصراع وفنون القتل " التى حاولوا أن يتقنوهـــا منذ الصغر ويدرب عليها الذكور من سن مبكرة ، ولذلك كان رجل القبيلة ينظر نظرة احتقار إلى الفئات الحرفية والمهنية ، وهذا الاحتقار تعبير واضح لطبيعة العقلية البدوية التى عرف بها المجتمع القبلى ، والتى اتخذت أحكاما قيمية شبه ثابتة ضد الكثير من الأعمال الحرفية والمهنية ، مثل الحدادة والحلاقة والقصابة والحجامة وغيرها ... الخ ، وهى كلها مهن لا تعطى كيانا قويا وسلطة لمحترفها ، فالبدوى يسعى إلى ما يجعله يسود فى هذه الصحراء ولا يمكن أن يســـود ويأخذ مكانة عالية إلا بناء على منطق القوة ، وتدربه على فنون الحـــرب ، فهنـــاك بناء قيمـــى من قديم الزمان يمجد الحرب ويقدس الشجاعة ، وقد نتـــج هـــذا البناء القيمـــى عـــن الظـــروف الطبيعية التى عاشها البدو فى هذه المناطق .

إن التحقير لتلك الفئات الاجتماعية (المهنية) من جانب رجال القبائل يرتبط بمزاولة مهن معينة ينظر إليها المجتمع القبلى بنوع من الأحتقار ، ومن ثم ينظر الى الشخص أو الفئة الاجتماعية التى تقوم بممارستها على أنها تجاهلت الأصول المتوارثة والمتعارف عليها والتى تفرض على الشخص أن يمارس أعمالا وأدوارا معينة ومحددة ، وبالتالى فإن أى خروج على النشاط الاقتصادى المرسوم له من قبل الفئة التى ينتمى إليها يفقده عضوية تلك الفئة ، ولذا فهو يعامل كشخص مجهول الهوية والأصل ويصبح منبوذاً فى المجتمع القبلى ، وهذا يفسر لنا

ذلك الربط الاجتماعى بين الأعمال الحرفية والمهنية وبين المنحدرات الاجتماعية للفئات والاشخاص الذين يقومون بمزاولتها ، وأن هذه الفئات ومراتبها الاجتماعية تعتبر مغلقة لا يسمح بانتقال أى فرد منها أو إليها .

وعلى الرغم من هذا الأختلاف فى المراكز والمكانات الأجتماعية ، وتحديد المهن بالنسبة لكل مرتبة إجتماعية ، فإن نظام العقوبة والجزاء يطبق بصورة تكاد تكون عادلة بين الجميع ، فعلى رجال القبائل الذين يحتلون السلطة والصدارة فى التنظيم الإجتماعى القبلى القيام بتوفير الحماية والرعاية للفئات الاجتماعية غير القبلية والدفاع عن حقوقها .

إن المستوى الاجتماعى الذى يرثه الفرد من الأب يفرض عليه القيام بمزاولة نشاط حرفى أو مهنى معين ومن ثم فإنه مهما تغير الوضع الأقتصادى أو التعليمى فإنه يظل منتميا لنفس مستوى الفئة التى ينتمى إليها ، ويظل محتفظا بنفس المكانة الاجتماعية التى تنحدر منها عائلته ، ورغم أن أبناء هذه الفئات الاجتماعية الدنيا لا يستطيعون تخطى فئتهم عند الزواج أو الارتباط ، فإن تلك الحواجز الاجتماعية – بين الفئات المهنية والصناع والعبيد وأبنا القبائل – لا تمثل عائقا حقيقيا امام الاتصال والتفاعل الإجتماعى ، فلا يوجد نبذ من جانب فئة الى فئة أخرى ، وبالتالي فإن مبدأ المساواة فى الحقوق الذى يقره الدين الاسلامى هو الذي يحكم افراد المجتمع كما سبق الذكر .

إن نظرة عدم التساوى لهذه الفئات لا يرجع لتلك الفئات لذاتها وإما هو تعبير عن العقلية البدوية ، التى أتخـــذت أحكاما قيمية ثابتة ضد أشكال كثيرة من الأعمال وفئات إجتماعية معينة ، وأصبح ذلك تراثاً ثقافياً متوارثاً عبر الاجيال .

وقد اثبتت الدراسات التى أجريت على مجتمعات قبلية تتشابه ابنيتها السياسية والاجتماعية مع أبنية مجتمع الدراسة ، ما تؤكده هذه الحقيقة[1] .

ويمكن تقسيم الفئات الاجتماعية بمجتمعات الحائر والغطغط إلى :

- الفئة الأولى : فئة المشايخ والأمراء .
- الفئة الثانية : رؤساء العشائر والفخوذ وكبار المحاربين بالقبيلة .

---

(١) فضل ابو غانم : الاستمرار والتغير بالبناء القبلى بالمجتمع اليمنى ، رسالة مقدمة للحصول على درجة الماجستير فى علم الاجتماع من جامعة عين شمس – كلية الآداب قسم الاجتماع ، سنة ١٩٨٤ م .

- الفئة الثالثة : أفراد القبيلة .
- الفئة الرابعة : الفئات الأخرى من غير القبيلة " العبيد ، الخضيريين ، الصلب " .

وفيما يختص بالفئـــة الرابعة ، فان مجتمعات الدراسة ترتبهم بطريقة تختلف عن بعضها ، فنجد أن مجتمع الحائر يرتبهم بحيث تأتى فئة العبيد فى البداية قبل الخضيرى والصلب وتبريرهم لذلك أن العبيد ينتسبون الى مواليهم ، فهو ينتسب لقبيلته ، وبالتالى يأتى فى مقدمة الفئات الثلاث .

أما مجتمع القصب والغطغط ، فيرتبونهم بحيث تأتى فئة الخضيريين فى البداية ويليهم العبيد ثم الصلب . أى يأتى الخضيرى من وجهة نظر هذين المجتمعين فى مقدمة أفراد هذه الفئة على أساس أن الخضيرى قد يرجع نسبه الى أصل عربى ، إلا أنهم لاسباب ما جهلوا هذا الأصل والجهل بالشئ لا يعنى عدم وجوده .

وإن الفئات الاجتماعية لدى بدو الحائر والغطغط مثلها مثل دور نجد عامة تقوم على أساس أن فى أعلى السلم الاجتماعى يكون الشيخ (شيخ القبيلة) ورؤساء العشائر ولهم السلطة والكلمة وبناء القوة ، ثم باقى أفراد القبيلة ويأتون فى المرتبة الثانية ، ثم باقى الفئات .

شيخ القبيلة :

وتقوم على أساس الوراثة ، ويطلق عليهم مشايخ أو أمراء حسب تنظيم إجتماعى متعارف عليه ، وإن كان عند سؤال الاخباريين عن ذلك قد أوضحوا أنه ليس هناك فرق فالشيخ هو الأمير ، ويلى الشيخ رؤساء الفخوذ والعشائر ، وتكون هى والشيخ مجلس القبيلة ولهم رأيهم ومشورتهم لدى الشيخ .

رجال القبيلة :

وهم أفراد القبيلة ، وتقوم المرتبة الاجتماعيه التى ينتمون إليها على أساس الانتماء القرابى والسياسى .

العبيد – الخضيريين – الصلب :

التى تزاول حرفا ومهنا يعتبرها المجتمع القبلى من الأعمال الوضيعة التى لا يسمح لرجل القبيلة القيام بها ، مثل الصناع والقصابين ، والحلاقين ... الخ .

الفئات الاجتماعية بمجتمع القصب :-

- أمير القرية .
- القاضى ورجال الدين .
- افراد المجتمع من العائلات : وهم المزارعون وأصحاب المزارع .
- الحرفيون والمهنيون (الصناع) ، ومنهم الحداد والحلاق والقصاب .

كان فى أعلى السلم الإجتماعى أمير القرية ، وكانت الإمارة شبه وراثية دائما ، فكانت فى القصب تتوارث لعدة أجيال ، وفى عائلات بعينها .

أما رجال الدين والقضاة والفقهاء : فتقوم هذه الفئة على أساس النسب والمركز الدينى ودرجة التفقه فى علوم الدين والشريعة الاسلامية والقدرة على حل المنازعات التى يتطلب الأمر حلها بواسطة القواعد الشرعية .

أما الفئة الثالثة فهى من أفراد المجتمع ومن العائلات وهم المزارعون وأصحاب المزارع وهم من عائلات وقبائل متعددة .

أما الفئة الرابعة وهى فئة " الصناع " - (الخضيرى - الصلبى - العبيد) : - ومنهم الحدادون وهم الذين يقومون بأعمال الحدادة وصنع الأدوات ، والآلات الزراعية التقليدية ، ويقومون بصناعة " الدلال " ، وجليها ، وصنع القدور النحاس للطهى .. الخ . وأيضا الحلاقون وهم الأشخاص الذين يقومون بأعمال الحلاقة وخاصة فى المناسبات مثل الاعياد الدينية ومناسبات الزواج ... الخ ، وكذلك الختان " الطهارة " كما يقومون بأعمال الخدمة العامة فى مناسبات الزواج والأعياد ، كما يقوم بعضهم بالمداواة والعلاج " الطب الشعبى " والتجبير والحجامة ... الخ ، وأغلبهم من الصلب والعبيد ، ويوجد القصاب وهو الذى يشترى الماشية - ويقوم بذبحها وبيعها فى السوق ، وغالبا ما تكون هذه الفئة غير متخصصة فى هذه الأعمال فقط ، ولكن لها أعمال أخرى مثل العمل بالزراعة لدى أصحاب الأراضى ، أو الاعمال الخدمية ، أو الخدمات العامة ...الخ .

علاقة الفئات الاجتماعية بعضها ببعض فى مجتمعات الدراسة :

إن علاقة الفئة الأولى (المشايخ والأمراء) بباقى الفئات هى علاقة قائمة على أساس الحماية والحفاظ على الحقوق ، والاحترام من جانب باقى الفئات ، كل ذلك فى إطار من قواعد العرف القبلى ونظام المسئولية المتعارف عليها والجزاء ، وتأتى فى نفس الفئة - وإن كانت

تختلف فى الدرجة – رؤساء العشائر والفخوذ وكبار رجال القبيلة من المحاربين ، ولهم المشورة والمساعدة فى حل المشاكل والمنازعات والوساطة بيـــن الشـــيخ ورجـــال القبيلة وبقـــية الفئات الأخرى .

وعلاقة فئة المشايخ والرؤساء ببقية أفراد القبيلة هى علاقة أحترام متبادل ومساواة فى الحقوق والواجبات ، والطاعة والالتزام من جانب أفراد القبيلة بما تحكم به السلطة .

أما علاقة الفئات السابقة ببقية الفئات الأخرى – العبيد والخضيريين – والصلب – فهى علاقةتقديم خدمات مقابل الحماية والانتساب والجوار ، علاقة يسودها الاعتماد المتبادل والتساند والتعاون ، وخاصة فى حالة المخاطر الخارجية ، والكوارث الطبيعية ، حيث التماسك والتعاون والتآزر بين الفئات الاجتماعية المختلفة برغم ما بينها من اختلاف وتفاوت .

بالرغم مما تقدمه القبيلة للفئات الاجتماعية " غير القبلية " من حيث الحماية السياسية والرعاية الاقتصادية ، والسماح لهم بالإقامة ضمن الوحدات المكانية والاجتماعية فى القبيلة ، إلا أن هذه الفئة تظل على هامش الحياة الاجتماعية والسياسية للقبيلة ، وعليهم أن يلتزموا بنفس الأعمال والخدمات والحرف والمهن التى حددتها لهم القبيلة وهى نفس المهن والحرف التى كان يقوم بها آباؤهم ، وإلا فإنهم سوف يفقدون حق الحماية وكذلك تأمين المعيشة الاقتصادية وحق الأقامة التى تمنحها القبيلة لهم .

نظام التحكيم بمجتمعات الدراسة :

سبق وأشرنا الى أن التقاضى بمجتمع القصب كان يتم فى قرية " شقراء " الى أن عين بالقصب قاض وكان أهل القصب يلجئون للقضاء عندما تفشل محاولات الصلح الفردية بين المتخاصمين ، كما كان الأمير يتدخل لفض خصومات كثيرة بالقرية وكانت له الكلمة المسموعة ، وكان هناك مندوب عن الأمير يقوم بتقدير الخسارة التى وقعت على طرفى النزاع ، أما المجتمعات القبلية فكان الشيخ يتدخل فى حالات النزاع ، وكما يقال " يتدخل للصلح أو للخير فقط ، أما فى حالة حدوث قتل فقد كان الصلح لا يتم إلا بعد القصاص – فى الغالب – ، فلا بد من أخذ الثأر ثم بعد ذلك يتم الصلح ، هذا بالنسبة للخلاف داخل القبيلة ، أما أذا كان النزاع بين وحدات قبلية مختلفة ، فإن القبيلة تحمى المعتدى ، وعلى المعتدى عليه أن يأخذ حقه بيده إذا أستطاع ، وهنا تتدخل قوة القبيلة وعزوتها فى حماية أفرادها .

ولقد عرف مجتمع الحائر ما يسمى " بالطواغيت " وهو بديل عن القاضى يحتكم اليه الناس وهو بالطبع لا يستند فى حكمه للشرع ، ففى هذه الفترة الزمنية كان تفقه هؤلاء البدو فى أمور الدين والشرع قليلا ، والجهل هو السائد ، لكن كان يحكم بالعرف القبلى ، والجماعة أرتضت بهذا " الطاغوت " حكما ، وكان يتقاضى شيئا عينيا أو نقديا نظير تقديم هذه الخدمة ، وأحكامه سارية .

- الحراسة عند مجتمعات الدراسة :

كانت مجتمعات الدراسة دائما في حالة تحفز وخوف ، ولابد لهم من حراسة تكون بمثابة النذير عند أى هجوم أو غارة أو أى محاولة سلب ، ودور الحراسة هام ، حيث يعلن الحراس عن أى غزو قبل أن يصل ويباغت " المنزل " فجأة ، أو كى لا يكون هناك فرصة للأستيلاء على ممتلكات اهل " النزل " فى الخفاء . ولذلك كانت هناك الحراسة الدائمة " لنزل والمواشى " من عدة رجال يطلق عليهم " الجنب " يقومون باستطلاع المنطقة من فوق جبل عال ويشترط فيهم قوة الأبصار - بالطبع - والمهارة وقوة ودقة الملاحظة ، ويقومون بإعتلاء الجبل أو الأبراج أو المراتب فى أوقات متفاوته بشرط أن يصعدوا قبل حلول الليل كى يضمنوا عدم وصول أى معتد قبل أنقضاء ساعات الليل ، حيث أن الحراس يقومون برصد المنطقة على مسافات بعيدة .

- تتبع الأثر بمجتمعات البادية :

إن تتبع الأثر من الأمور الهامة بالصحراء ، ويتدرب عليها أبناء البادية لأسباب عدة :

- لابد له من معرفة أثر ماشيته حتى يتتبعها ، وقد برعت فئة " الصلب " فى ذلك .
- إذا حدث واعتدى أحد وسلب من البادية ماشيتها أو خيلها ... فلابد على الرجال من متابعة المعتدى ، ومحاربته لاسترداد ما سلب ، وفى بعض الأحيان يسترد المسلوب ومعه أشياء أخرى من ممتلكات المغير كتأديب له على فعلته - إذا استطاع صاحب المسلوب - ولذلك كان أقتفاء الأثر هام فى استرداد ما يسلب، وهو بذلك هام فى مثل هذه المجتمعات .